دار الينابيع العربية للتأليف والترجمة والنشر بسوريا

زكي الأرسوزي

نهضة الأمم العربية

ورسالتها إلى العالم

سلسلة المفكرين العرب

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتوى

صفحة

١ المدخل

١٦ الوضع البالى

٣٩ نحن والمدنية الحديثة

٥٤ الثقافة الحديثة واتجاهاتها

٨٠ بين الواقع والمثل الاعلى

٨٧ بين الديموقراطية والدكتاتور

obeikandl.com

المدخل

ان الامة من المرحلة التاريخية كالبذره من موسمها ؛ كلتاهما تنمو بتشعب العلاقة بينها وبين بيئتها الخاصة . الا أن الأمة تزهو بتجاوب رحماني بينها وبين بيئتها الانسانية تجاوباً تستقطب به نفوس ابنائها التيارات الفكرية ، وتبعث بالرموز معاني . في حين ان البذرة تنمو وتزدهر بتفاعلها آلياً مع بيئتها الطبيعية .

أما البيئة الانسانية فتتألف من العلم والصناعة من جهة ، ومن المؤسسات الاجتماعية التي أورثها الأجداد للأحفاد من جهة ثانية . انها تتألف من رموز تتحول لدى الوعي الى معان يرتقي الذهن على مصاعدها نحو المفاهيم في مصادرها .

هذا فضلاً عن أن العلم ينسج قوام الفكر وأن اتصال الوجدان هذا بالطبيعة يجدد نسغ الحياة ، وانه بانسجام قطبي النفس هذين تنمو الشخصية أبداً .

وان الصناعة تبني هيكل المجتمع وبها يخضع الانسان ظروف البيئة لمشيئته ، وعلى قدر انتشارها تقوم قاعدة المجتمع فسيحة في الطبيعة .

علم وصناعة : كلاهما يرجع التشتت في الآراء الى الانسجام وكلاهما يحول الحياة من اتكال وخمول الى نمو وسطوة .

والمؤسسات الاجتماعية هي أيضاً تجارب الا أنها تجارب في أصول الحياة يشترك فيها الأحفاد مع الأجداد اشتراكا يوفر به السلف على الخلف الجهد المبذول في سبيل الوصول اليها كما توفر عليهم تجارب اعلام البشر في الطبيعة الجهد المبذول في اكتسابها .

ان كلا من المصلح والعالم ينهل من ينبوعي الحياة : الوجدان والطبيعة . الا أن العالم يكشف عن الحقيقة الكونية بالتجربة في الطبيعة ، في حين أن المصلح يستجلي آية الشؤون الانسانية أي حقيقتها بالتجربة الروحانية . ونفوس أبناء الامة تشتد باكتسابهم الشعور بحقيقتهم المثلى وبتجاوبهم وحمايتنا مع المرحلة التاريخية كما تزهو الأحياء في بيئتها الطبيعية أو كما يزكو الأنام بمواتاة الصبارة البيانية لنزعته الفنية .

ولما كانت الحياة تجليات وكانت التجليات تندرج في الزمان اندراج الانغام أنغاماً في الأنشودة ، فقد اصبح شأن الانسانية

استقطاب هذه التجليات استقطاباً يرتقي به الذهن الى لآية حكمة وجود التجليات ذاتها .

وعلى ذلك فاننا نبغي من هذه الرسالة أولا : استجلاء آية آمتنا كحقيقة تاريخية ، وثانياً : انشاء فلسفة عربية يتحول بها مانسجته الحياة عفوا الى مستوى من الشعور بحيث نشترك مع العناية في تعيين مصيرنا ، نشترك بذلك هذه المرة ونحن أحرار

لئن طلقت الحضارة الحديثة على العالم باكتشاف الأرض جرماً بين الأجرام السماوية فقد حملت الشؤون الانسانية طابع هذا المطلع النسبي ، نسبة الحوادث وتلازمها في وحدة الطبيعة واذا كان هذا المطلع قد قشع عن الطبيعة النظام الذي كان يفصل الكون الى عالم علوي وعالم سفلي باعتبار الأرض وسطاً بينهما ، قد قشع ذلك النظام الذين نسجه الانسان من خياله رتيباً hiérarchique معبراً به عن بنيانه ذي القوام الرتيب ، فانه حجب عن العقل الحديث معنى شؤون الحياة وغاق اعلام الحضارة الحديثة عن فقه كنه الانسان ؛ هذا رغم أنه ابلغ العلم غايته انسجام الطبيعة كلا وأجزاء في منظومة الجاذبية الكونين أفلم تبد المعرفة من خلال هذا المطلع النسبي صوراً يدعو بعضها بعضا في الوجدان دعوة الحوادث بعضها في الطبيعة ؟! . أو لم تقم محاولة الارجاع

المناسبات بين الشؤون الانسانية الى العادة وجعلها بهذا الارجاع خاضعة للعطالة على غرار الحوادث الكونية ؟! .

واذا كان اكتشاف الارض كجرم في المنظومة الشمسية قد ادى الى انقشاع نظام الطبقات عن الطبيعة فان اكتشافها ككرة ايضاً قد ادى الى زوال الطبقات عن المجتمع . تفتحت الدنيا باكتشاف امريكا عن آفاق جديدة تمارس فيها شعوب فتية فعاليتها خلوا من تقاليدها بحيث نتج انقلاب في الانسانية مماثل لافتراق الحياة عن جنسيها : الحيوان والنبات . انقلاب انتقلت به الجماهير من حياة زراعية الى حياة تجارية متحولة أبداً خاضعة بتحولها لتيارات المدنية عائمة على موجها .

لكن اكتشاف الدنيا الجديدة هـــذا اقام الثروة مقام الأصالة فسبب بذلك ظهور رأسمالية عالمية على مسرح السياسة الدولية تحرف الامم عن غاياتها لتجعل فعاليتها وقفاً على مآرب اقتصادية كما حجب الطابع النسبي الذهن عن رؤيه مراتب القيم في الفن والاخلاق .

وكذلك يرجع امر ظهور الطبقة العاملة على مسرح الحياة العاملة الى اكتشاف الأرض بنيانها بعلمي : الفيزياء والكيمياء، العلمين اللذين شيدت على معارفهما الصناعة الحديثة . والصناعة

الحديثة ايضاً ، ان مهدت للعامل ان ينازع البورجوازي على ادارة شؤون الدولة وان يقيم العمل مقام رمزه الثروة ، فان العمل لم يفتأ بفكاك أواصر الأسرة والامـــة ليقوم مقامهما باستقطاب العمال وتنظيم نقاباتهم على اسس دخيلة على طبيعـة الحياة . حتى لقد اصبح العامل ملحقاً بالآلة خاضعاً لتطورها ، منها يستمد نسغ حياته وبطبيعتها يتكيف قوام كيانه .

هكذا تقوم الحضارة الحديثة على تناقض مقوماتها . فمن جهة تقشع بنظرتها الانبثاقية الأوهام عن الطبيعة والتقاليـد البالية عن الوجدان ؛ ومن جهة أخرى تجعل طابع الحوادث الكونية ذا غلبة على صبوة الشؤون الانسانية الى المثل الاعلى والا فكيف التبست على أعلام الفكر الحديث الكتلة المادية بالكتلة البشرية فبدت لهم الحوادث الكونية والشؤون الانسانية تخضع سواسية لقوانين طبيعية حتمية . او كيف كان جازف هؤلاء بالزعم : « ان الحياة محصلة قوى الطبيعة » وان الانسانية هي ظل البيئة الاقتصادية ؟

ولكن هل بدأت الشعوب الحديثة تفكيرها هذا بمسايرة تطورها لاكتشاف الأرض : موقعها في المنظومة الشمسية ، ومجاهلها وبنيانها ؟! أم كانت وجهة التطور هذه قد تعينت منذ

فجر التاريخ حين اخذت الشعوب الهندية الاوروبية تقسيم تشريعها على مبدا الجوار وترجع مفهوم الأمة الى العلاقات التاريخية الاقتصادية ؟ ! بل حين اخذت الكلمة تتحول في لغات هذه الشعوب من صورة الى رمز ، من منظومة بيانية الى لفظة دلالية ينعدم فيها الاعراب وتتضاءل الصلة بينها وبين شقائقها الأخرى حتى أصبح المعنى ملتصقاً بالصوت عرضاً واتفاقاً .

ان الكلمة اذا اقتنصت المعنى وهوت به من آفاق رفعته الى سطح الوجدان تحكمت العادة فتحول الذهن . بهذا التحكم من نام الى راكد ، وعندئذ تتحول الفضيلة من الفيضل الى التقوى ، وعندئذ يرجع بالابداع من الانبثاق الى صور متآلفة .

كذلك هي الشعوب الهندية ـ الأوروبية تتردد في تطورها بين النسبية والمادية فتبتقى تارة على حدود الطبيعة وتدرك النظام الثابت بين حوادثها ، وتضل تارة اخرى عن معنى الشؤون الانسانية حتى ينتهي بها الشطط الى تفسير الفن والاخلاق بالمادية الأنانية . ومع ذلك فان هذه الشعوب تتناوب مع الساميين توجيه الحضارة

اما اليوم ، وقد تحول العالم عن الأصالة الى دعائم برانية

تشيد عليها الامم بنيانها فان وجهة التحول هذه ترد ترجع به الانسانية القهقري على غرار تردي الأحياء من ذات الهيكل العظمي الى ذات القوقعة .

. . .

بينما كانت الكلمة في اللغات الهندية الاوروبية تتحول من صورة الى رمز ، فتمهد بهذا التحول لذهن صاحبها ان يدرك النظام قانوناً في الكون ، وعدلاً في المجتمع ، وعقلا في النفس ، كان اللسان العربي يوجه ببنيانه الاشتقاقي ذهن متكلميه نحو المعنى الذي هو مصدر النظام . ان الكلمة العربية من المعنى الذي أنشأها بمثابة الجسد من النفس ، تحمل طابعه وتكشف عنه حتي اذا ما اتجهت المشتقات متقاربة نحو الحدس تحول الحدس ، مصدر الاشتقاق ، من وميض الى بصيرة . تتجاوب في منظومة أسرة الكلمات العربية المفهومات العقلية والمدلولات الحسية فتنمو بتجاوبها الشخصية ؛ اذ ليس للذهن الا ان يساير وجهة التجاوب حتى يهتدي الى بزوغ الحقائق .

كذلك هي الكلمة العربية : تدل على مصدر اشتقاقها ، الحدس ، دلالة الأنغام على الالهام في الانشودة .

وكيف كان للكلمة العربية هذه المزايا ؟ اشتركت الحياة

مع الارادة في انشائها مستندة الى التفاعل بالمداد بين الصوت وبين بوادر Expressions الهيجان الاخرى ، فجاءت وكأنها وحي يوحى على لسان احد النبيين ، جاءت معبرة عن وجهة نظر الحياة ذاتها في أصول الثقافة Culture وملخصة لتاريخ تجارب الانسانية في سبيلها نحو وضع أمثل . ان الكلمة العربية امتداد لبادرة الصوت الطبيعية في الهيجان : جذورها في الطبيعة ورائدها الملأ الاعلى . حتى اذا درست الكلمات العربية دراسة توليدية اهتدى الذهن على ضـــوئها الى آية الأمة التي انشأتها كحقيقة انسانية . مثل اللسان العربي كمثل هيكل عظمي يوحي بكل من عظامه المبعثرة في طيات الارض ، خيال النوع منشـــئة .

والحكمة المأثورة : « الاسماء تنزل من السماء » تشير الى حدس اجدادنا في اصول كلامنا ، الحدس الذي يتضمن الانسجام بين الغرائز والأشياء من جهة وبينها وبين المفاهيم التي تتلاخص بها الغرائز والاشياء من جهة ثانية .

فاذا كانت الحياة تنمو بتجاوب قطبيها : الطبيعة والملأ الأعلى ، . . . الصورة والمعنى ، تجاوباً تتصدع به عن مكنوناتها آيات « بينات » ، وكان الميل الى الصورة قد بلغ مداه ببلوغ

نيوتن قانون الجاذبية الكونية ، فان الصبوة الى المثل الأعلى قد تجلت في أجلى مظاهرها حين كان العربي يجنح الى الحرية بمعنيها الانطلاق والاصالة . افلم تبلغ الصبوة الى المثل الاعلى أشدها حين كان الاسلام والمسيحية يلقيان طابعهما العربي السامي على الحياة في القرون الوسطى ؟ حين كانت هاتان الديانتان تقيمان شؤون الانسانية على نظام رتيب تتعين مراتبه بمدى الصبوة الى الحقيقة الانسانية ؟

وما الرسالة اذا لم تكن اقتباس المعرفة من الملأ الاعلى وتنظيم العالم على ضوء المعرفة المثلى ؟ اغليست النبوة اصالة في المعرفة ؟ اوليست البطولة اصالة في العمل ؟ فاذا كان للنبي حق الولاية على جمهور المؤمنين فقد تجلت في نفسه الآية تجربة مثلى ، تجربة تتوق اليها النفوس كأمنية ، ان مثل الجمهور من النبي كمثل فتاة تمارس الأمومة بألعابها طيفاً . تصبو النفوس جميعاً الى النبوة وتترقب هذه الولادة ، ولادة حقيقة المرحلة التاريخية . واذا هم رجوا قدوم المخلص من الخارج فما ذلك الا عيادة المعنى المستفاض من الصميم . وهو القلق المستحوذ عليهم ، كما هي الحالة في كل ولادة ، الا كالنوء الذي يبشر بقرب الموسم . ان النبوة لم تفتأ تظهر ، وانما العناية تختار المصطفى لرسالتها . اننا نحن

ايضاً نجسد بالنبي أمنيتنا فنتخذ منه لنا قدوه .

لكن الصبوة الى الحقيقة المثلى تتفاوت بين الناس فتتعين بمدى تفاوتها منزلة الافراد في الهيئة الاجتماعية ، مدى دل عليه النظام الرتيب في القرون الوسطى . واذا التبس على اجدادنا فوام بنيتهم الرتيب بالفضاء ، وبدت لهم الاشياء ذات رتب ، فانهم قد استعاروا من السماء صورتها القبة تعبيراً عن صبوتهم الى المثل الاعلى بحيث التبس عليهم الرمز بالمعنى .

فقد اتحد الناس في بالحقيقة طيلة القرون الوسطى ، وعنها اقتبس المؤمنون الهالة المقدسة ، وليس الاختلاف بين ذلك العهد وبين المرحلة التـــاريخية الراهنة الا في اختلاف المعرفة الطبيعية ذات الطابع النسبي عن المعرفة الانسانية ذات الصبوة المثالية . ومع ذلك فان كلا العهدين قد اتخذ التجربة مدخلا والحقيقة امنية .

واذا اشتقت العبقريه العربية كلمتي ذكاء (اللمعة في النفس) وذكاء (اللمعة في الطبيعة : اي الشمس من ذات المصدر فقد دلت على ان هاتين الحضارتين ، العربية الســـامية واليونانية الاوروبية ، تتلازمان تلازما يبقى فيه النظام الشمسي رمزاً خالدا للحقيقة الانسانية على ان يتحول هـــذا النظام النسبي

المتدربة أجزاؤه على مستوى واحد في المكان الى نظام ذي رتب متفاوتة بالرفعة في الوجدان .

ورسالة العرب في هذه المرحلة التاريخيـــة هي خلق عالم تنسجم فيه الطبيعة مع الانسانية .

. . .

ان الحياة منظومة مغلقة في جميع الاحياء الا في الانسان فانها تبقى ذات صبوة الى الملأ الأعلى مثل الانسان من الوجود بذاته كمثل الجنين من امه ، يتصل رحمانياً بمصدر كينونته وكلمة رحمان تدل برمزها الرحم على هذا الاتصال ، واذا كان الانسان قد انشأ المدنية والثقافة فرسم بالاولى قاعدة كيـانه في الطبيعة وحرر مشيئته من ضرورات البيئة وخلق بالثـانية ذاته نامية وشيد بها صرح الانسانية صرحا متعاليا ، فذلك لان العبارة تقصر عن المعنى في الحيـــاة ولان الطبيعة لا تستنفذ الملأ الأعلى .

ومع هذا فان المدنية والثقافة ، وجهتي الحضارة ، تختلفان بذلك ، فالاولى تساير الطبيعة فتبقى مفاهيمهـا على مستوى الحوادث الكونية ، مستوى يجعل العلم والصناعة ، اللذين هما قوامها ، يتقدمان تقدما مطرد ، والثانية تتأرجح بين مأخذ

رموزها ويبني آياتها ، بين الطبيعة والملأ الاعلى ، تأرجحا يحلق فيه الذهن بين آفاق متفاوتة بالرفعة بحيث تزداد صعوبة التقدم في هذا المنحنى ، اولا يستلزم فهم الثقافة ، فضلاعما تقدم ، ذوقا اصيلا و خيالا فنيا يحول بهما الانسان الرموز الى معان ويبقى بهما الذهن على اتصال روحاني بالحقيقة ؟ !

ان ما أوحى الى الشعوب السامية نظرتها في تاريخ الكائنات تلك النظرة التي بدا فيها تطور الانسانية ، على مراحل وكل من مراحلها قبة : صورتها مقتبسة من قبة السماء ، ومعناها مستلهم من وثبة الحياة ، ان ما اوحى اليهم ذلك هو مسايرة الثقافة للحياة بالخضوع للمداد rythme ، لمداد يتراوح بين النوم واليقظة بين العادة والابداع ، بين الحضيض والأوج . واذا استعار الساميون القبة من السماء كصورة مجازية يعبرون بها عن كل من مراحل التاريخ فقد رمزوا بهذه الصورة الى بنيان الانسانية ذي القوام الرتيب ، بنيان يمس بقاعدة الضرورة كما تمس السماء الارض بأطرافها ويدرك بصبوته الحرية ، حرية الاشراف على العلة والصيرورة ، ان هذه الصورة الشعرية لتنطوي على الحدس في صبوة الاخوان صبوة مشتركة وفي تضامنهم جميعا بالمسؤولية .

تمثلت الانسانية في الذهن العربي عن مثال الحياة . فكما اشتق هذا الذهن كلمتي رشم وشيخوخة اللتين تشيران الى حدي نمو الحياة الاولى من (رشم بمعنى رسم) فعبر بها عن مبدأ الحياة كصور ، والثانية من (شاخ ، شاخ الزهر بمعنى تفتح عن مكنوناته) فعبر بها عن استكمال الحياة شروط نموها ، ادرك ايضا بتطور كل من مراحل الانسانية معنى بديئا في حلة جديدة ، وادرك ان النفوس جميعا تنزع الى معنى شؤون المرحلة التاريخية كنزعة الانغام لدى تمثلها في الذهن الى الهام الانشودة ، نزعة تجيب العناية عليها ببدور الايه : افي النفس كان هذا البدور ام في الرسالة .

ان الرسالة من المرحلة التاريخية بمثابة نبرة الايقاع في الأنشودة : تتجلى فيها نزعات الجمهور الغامضة آيات بينه فيهتدي الناس على شقها الى تحقيق الأمنية . مثل الرسالة في النفوس المتعثرة بالولادة ، ولادة معنى المرحلة التاريخية ، كمثل الرعد الذي يفجر بدويه الينابيع الطامسة ، ولكن متى ماانبعث الرسالة من خلال التقاليد البالية تجلت هي في العالم نظام قيم بديئاً واصبح المجتمع بهذا التجلي كما يصبح وجه الارض بعد اندفاع الحمم ذا طوبوغرافية (تشكل) جديدة .

الى النبي الذي يضفي رواء تجربته المثلى على القيم الانسانية الخالدة منها والمستجدة ، فانا يؤلف بينها بهذا الرواء فيجعل الطبيعة والانسانية تكتسبان وضوحاً من المعنى الذي تجسد فيه كرسالة . وكلمة عقيدة تدل بصورتها الحسية عقد على ان وجهتي الحياة تماثلان تكويناً : انعقاد الجنين في الرحم وانبثاق العقيدة في النفس . وكما تنتقل الحياة من الخلية المولدة (الجرثومة) الى الخلايا المتفرعة عنها في المكان والمتابعة في الزمان انتقال المشعل بين الرياضيين في جولتهم حول الوطن ، تنتقل العقيدة أيضاً عبر الأجيال مستندة الى الأفراد مستمدة منهم نسغ قوامها ، مثل العقيدة في انتقالها عبر الأجيال كمثل الدالية التي تعرش على مسافات شاسعة باستنادها الى اتصال الجذع بالأرض بين الفنيه والفنية .

ولكن اذا التبس الرمز بالمعنى عند نهاية المطاف هبط الناس منحدرين عن مستوى الغريزة . كذلك تردت ثقافتنا في اواخر القرون الوسطى فانتهى بنا الامر الى تحول المعرفة الى (سفسطة) وتحول الأخلاق الى (دروشة) .

أما اليوم ، وقد استيقظنا من ثباتنا على ضوء الحضارة الحديثة وانقشعت عنا الاوهام بتأثير المعارف العلمية ، تلك الأوهام التي تحصل من التباس الوجدان بالطبيعة ، فما علينا

اذن الاستكمال شروط هذه اليقظة بالعودة الى الحياة في ينبوعيها: الانسانية والطبيعة . ونحن اذا كنا نبلغ الطبيعة بالعلم فاننا نرتقي الى الانسانية بفقه تراثنا . ومتى استكملنا شروط نهضتنا بانشاء قاعدة كياننا انشاء متناسبا مع تقدم العلم والصناعة تمكنا من خلق ثقافة انسانية رفعتها على مقياس فسيحة قاعدة حياتنا في الطبيعة وعندئذ نتمكن من ردع الثقافة الحديثة عن شططها في فهم الانسان كما ردعنا العلم الحديث عن شططنا في فهم الطبيعة .

ولكن بعثنا لن يكون بعث فعالية تتناول سطح الحياة وحسب ، كما هي الحال في الامم التي انطلقت قواها بتأثير التقدم في العلم والصناعة . بل انه سيكون بعث فعالية تتجه نحو الصميم بحيث ينكشف معنى المرحلة التاريخية معرفة ورسالة انكشاف الهام الانسان في الوجدان شعورا وحركة .

لقد قيل انه اذا استكمل الجنين شروط نموه في الرحم فتح فاه فهبط عليه الروح من الملأ الاعلى فطلع على العالم كائنا حيا . انه القول ينطبق على الأمم التي تحررت فيها كواهن الحياة فأخذت تكتسب معنى ثقافتها من رسالة العرب .

الوضع البالي

أصبح مثلنا ، نحن العرب ، كمثل اهل الكهف عندما استيقظنا من سباتنا ، سبات انزوت فيه اجيالنا عن سير التاريخ عصوراً جديدة ، فبدت مظاهر حياتنا بالية ، عرفنا وتقاليدنا ، مؤسساتنا الاجتماعية والاقتصاديه ، حتى قوالب فكرنا وعملنا وكأن تراثنا قوقعة تصدعت وتداعت لدى اصطدامها المفاجيء بموجة المدينة الحديثة . حتى لقد اصبحت قشور هذه القوقعة تحجبنا عن حاضرنا وتعوق ملاءمتنا للبيئة المستجدة .

ولكن أحداثنا أخذوا يتطلعون الى هذه الموجة وهم يصبون الى غاياتها صبوة الاصداف بين فترات الامواج الى الشمس التي تجدد بها حيويتها ، مستسلمين لتياراتها مع النفرة من ماضيهم نفرة متزايدة .

أما الشيوخ ، وقد التبست نفوسهم بانحاءات ذلك التراث

وألفت اعوجاجاته ، فقد وقفوا مبهوتين امام موجة المدينة ، حياري من طغيانها ، مستوحشين من معظم مظاهرها .

لقد استحوذ القلق على أبناء الجيل في هذا البحران ، وأصبح اضطراب الجمهور متواصلا ، تتجارب أصداؤه بين خليج البصرة وجبل طارق . واذا كانت النفوس المضطرمة لم تبلغ غاياتها من تحقيق ما يكمن فيها من أمان وآمان فان القيادة نفسها قد قصرت عن ادراك شأنها حتى تستقل عن ارادة الأجنبي .

ومع ذلك فلم يتمكن اليأس من قلب تتدفق فيه الحياة وتفيض . وهل عرف التاريخ قوماً اعزر من العرب حيوية وأبقى منهم على الدهر ؟! .

فبينما تظهر الشعوب على مسرح الوجود ثم تتوارى عنه تسطع الامة العربية على العالم منارة يهدي شفقها الشعوب سواء السبيل .

• • •

في مطلع القرون الوسطى ، حين فاضت الأمة العربية على العالم بابنائها طوائف ، تبرىء الشعوب من آثامها وتطهرها من اقذارها كفيض البحيرة على أطرافها ، اعتلت الشعوب الفيض اعتلاء الحشرات الضامرة على الموج فسكبت في الينبوع سمومها حتى افسدت منبع انتعاشها .

لقد استغفلنا الاغيار ابان نهضتنا ، استغفلونا اذ كنا نزهو بروعة بطولتنا فغشوا حقيقتنا كما يغشي البرغش الزهر المتفتح على طلعة الشمس . وأحاق الدخلاء بنيان أمتنا بسموم أفرزتها قرائحهم المتردية فأمسى مثلنا كمثل خوارق والحيوانات في الأدوار القديمة ، كمثل حيوانات نسجت حولها الحشرات قوقعة من الافرازات لتجعل من جثمانها فريسة يتطفل عليها أحفادها . لما طغى الأغيار بيئتنا انحرف قوام انسانيتنا وتجوفت مؤسساتنا من جراء الانحراف حتى جف فيها نسغ الحياة . وتحول تراثنا اذ ذاك الى ظلف يعوق الامال عن الانطلاق ، وتردى مجتمعنا الى مستنقع تعيث فيه الأنانية . ان الأنانية في النفس والمفاهيم نتيجة تغلب الظروف على الفرد ، ان هي الا شعور بالانهيار ، وتقلص في الرحمة ، وعمه في البصيرة . في تلك العهود المظلمة طمست القيم النبيلة باهمال عبارتها وانحدرت أصول الحياة من جراء هذا الاهمال ، حتى تحول الفيض الى تقوى .

ولكن هل وقف الاعاجم عند ازحة مجتمعنا عن حقيقته؟ لا ، ولا عند اخراج العربي عن محور شخصيته . فقد نفذوا الى صميم أصالتنا ، فبالهجانة افسدوها وبالانتخاب المتدني استنزلوها الى ان غارت في بنيتنا قواعد خصائلنا الكريمة ،

وبنا طغى الدخيل والمجتلب على بيئتنا تقلصت مشاعرنا الرحمانية وعميت بصائرنا في الشؤون الانسانية . جدب وعقم ، بها تمسخ الحياة وتتحول من الازدهار الى القرمة .

لقد زاغت المؤسسات العامة يوم ذاك عن حقائقها واختل نظام القيم في مجتمعنا ، بحيث انحط العربي عن افق رفعته في التربية والفطرة فأمسى مثله كمثل فراشة خلعت زينتها وجوانحها على الانامل فسقطت على الارض هامدة . ولئن عوضت عن حسنها بدرع يقي ماتبقى لها من الحياة فانها ظلت في الأوحال دودة زاحفة في العهود السحيقة حين زاغت مظاهر الحياة عن الحقيقة تقلص العربي عن المدنية آوياً الى الأرياف .

يتدنى الانسان اذ انفلتت في منظومة الحياة الميول الدنيئة من ولاية الميول الرفيعة واذا تحول محور الحياة من البنية الى البيئة بحيث تتراخى صلة الرحم وتتلاشى الأحساب والانساب فيصبح الناس عندئذ رعاعاً يلبسون لكل حالة لبوسها .

وفي جو كهذا تفرض على الوجدان قواعد الفكر والعمل فيبدو على مناحي الحياة الهرم كرهبة من الابداع ونفرة من الطبيعة واعراض عن المحسوس واسترسال في الأحلام حتى يصبح الناس يوجسون من خطر الموت في كل حركة .

هكذا كانت القرون الوسطى المحتضرة ، تحولت فيها شؤون الحياة الى تقليد وذكرى

. . .

اصبح العرب على هذه المرحلة التاريخية صبوح نقف بوز من قوقعته ولما يتحرر من قشورها . يحملون تقاليد القرون الوسطى ، ويحملونها بالية . يحملون تقاليد عصور أعرض فيها الانسان عن الحياة في ينبوعيها : الطبيعة والانسانية ، فرقت بنيته بهذا الاعراض ، رقت باقتراب قطبيها : الصورة والمعنى فانتهى الامر بذلك الى الدروشة في العمـــل والسفسطة في المعرفة .

دروشة وسفسطة ، كلاهما من الدخيل وكلاهما يكشف بنشأته عن حالة طارئة .

التبست على الناس في القرون الوسطى الحقيقة بعبارتهـا فانتقلت قدسية المعنى بهذا الالتباس الى الظروف التي تجـلى فيها بطلا تجلياً أخذت الاجيال تنسج على مثاله هويتها نسخاً باهتة بحيث تردى الناس وانتكست الأجيـال من سكب مشاعرها في قوالب الماضي البالية .

ومتى كانت الحياة ترديا وانتكاسا ؟!

ولما انصرف الناس الى قشور الحياة . المجردات في المعرفة والزهد في العمل ، أخذت نفوسهم تقتات من فضلات العصور البائدة . وانهم كانوا يرجون ، عبثاً ، الخلاص ببتر الصلات بين الحياة والطبيعة ، بترا تتفرغ به نفوسهم لرؤية باريها . ان الجسد ليس من جهنم كما زعم الناسك بل هو قاعدة النفس في الوجود وصورتها . به تصدر الرحمة والعدل اللذان هما قوتها . انما الناسك كمن يعيش في المنام .

فمتى تبرم الانسان من الحياة ونبذها توارت عنه وحرمته من بهجتها وسرورها . ان آفات القرون الوسطى هي الثنائية في المعرفة والطبقات في الكون وتراخي الصلات بين ظواهر الطبيعة وبين ابناء الامة فذلك ان دل على امر فانما يدل على صورة نفس هزيلة ادركت من خلال بنيانها المتداعي الوجود مشتتا هامدا .

واذا جفت الحياة في العهود السحيقة وفرضت الواجبات على الناس وتحول الابداع الى بدعة وامست الديانة ترويضاً على الذل والاستكانة ، فذلك لان الحياة قد زحلت فيها المظاهر عن محورها وانفصمت العبارة عن المعنى . ومتى كانت الحياة اجتواراً وتقوى ؟ او متى كانت الديانة تعزية بالآخرة ؟!

لما ضاق على الناس أفق الوجود تقلصت فيهم الحياة الى ظلف من الأنانية مخلدة الى السكينة حتى الجمود مستسلمة للظروف خاضعة لأراجيفها .

استسلام وخضوع : كلاهما يجعل الانسان مادياً وانانياً ودنيئاً .

. . .

استيقظ ابناء هذا الجيل على طلعة المدنية الحديثة يقظة الدوافن (الزواحف ذات الدم البارد) من سباتها على تباشير الربيع . وليتها لم تكن يقظة قد رافقها احتلال الاجنبي لبلادنا.

كانت فرنسا تزعم بانها تحمل الينا منارة الحضارة واذا بها تضلنا عن اصول العلم وتقصينا عن مهل الثقافة . كانت سياسة الانتداب قد عجلت بانهيار الرداء البالي عن بيئتنا، ذلك الرداء الذي نسجته العهود البائدة من افرازاتها . وذلك بتشهيرها بأولئك الذين تمثلت فيهم قيم الماضي البالية . فقد اغوت رجال الدين والوجهاء واصطنعت الزعماء ثم فضحت هوياتهم المزيفة. ولكن هذه الدولة كانت تبتغي من عرض الزعماء عراة من اقنعتهم فطم الجمهور عن السياسة .

ولكن هل تركن العواصف في البراري التي اقتلعت اشجارها .

توهمت فرنسا بأنها تضمن بهذه السياسة مصالحها، اذا كانت تدرك من خلال بنيانها الفاسد مناحي ضعفنا . فهل كانت اسباب محنتها الأخيرة غير نفس اسباب انهيار وضعنا !

ان سياسة الانتداب كالسيل الذي يجلع الصخور المتراكمة هرما فيكشف عن المعادن الكريمة المخبأة تحت الردم والافهل كانت عظمة المسيح قد سطعت ببهائها على العالم لو لم يحتمل الرومان اورشليم ؟ !ام كانت الشعوب الدنيئة رأت في اليهود صورتها المتردية .

لكن المسيح لم يجد حوله في الجمهور اليهودي ، من لم يخطىء ليلقي على الزانية حجراً . في حين ان عرب الجاهلية تفرد من من بينهم « ابورغال » بخيانة قومه فاستحق لعنة الأجيال وظل ضريحه يتلقى ، الى اليوم ، حجراً من كل عابر سبيل .

ولنعترف فيما بيننا ، اليوم ، بمن اصبحنا اشبه . ابا يهود ام بأجدادنا العرب ؟! اليس القلق المستحوذ علينا هو شعورنا بتخلفنا عن حقيقتنا ؟!

ان الامة التي تخضع لمشيئة غيرها تتلقى منه قواعد فكرها

وعملها فيمسخ ابناؤها ، عندئذ ، حرافيش (جوكر) لدى من يقود شؤنها . ان الامة التي تفقد استقلالها تتخلى عن مقدساتها فتزول بهذا التخلي حكمة وجودها . اما ابناؤها فلن (ينفوا تخاذلهم) يبرروا تخاذلهم بالغفلة اثناء المحنة الا حين يغسلون عارهم بدمائهم .

واذا كان الجمهور العربي لم يفتأ يضطرم فيسطع كوكباً اثناء المحنة (الانتداب) فانه سرعان ما كان يتناثر تناثر اليراع في مهب الرياح . او من العجب ان يكون الامر كذلك ؟! أفاليس الزعيم صورة الجمهور ، الصورة التي يرى فيها الناس آمالهم وامانيهم مجسدة ؟! ولكن اذا ساءت المرآة تشوه الوجه واصبح قبح المنظر يبعث بشعور النفرة من صاحب الحسنة . وكذلك الزعيم اذا خس وتدنى اثارة نفرة الجمهور من الشؤون العامة . وكلمتا : « وجه » و« وجيه » تشير ان بأصلها المشترك الى ان الوجيه من الامة بمثابة الوجه في الجسد .

وهل كانت سياسة الانتداب تقف عند هذا الحد ام انها تعدته الى دعائم حقيقتنا ؟!

لقد تسلط الاجنبي على مؤسساتنا القومية وحرفها عن غاياتها الاصلية . ولقد نفذ الى مصيرنا فأخضعنا لمشيئته خضوعا فقد

نأبه قوام انسانيتنا .

تفككت في عهد الانتداب اواصر الرحم وضئولت عواطف المودة بين ذوي القربى وزالت الثقة بالنفس ، فانحدر الناس من جراء ذلك حتى الدرك الاسفل ، ولما سطت النزعات المادية على مجتمعنا تبدل فيه نظام القيم من رتيب الى متدني فانتهى الامر بان اصبح الملموس معيارا للحقيقة وبأن قامت الوسيلة مقام الغاية . فأينما اتجهت رأيت القبح باديا على مظاهر الحياة . فكم كنا نستغيث باسرافيل كي ينفخ في هذه « الجبانة » [1] فيبعث بها كلها احياء .

ومع ذلك لم يأخذ اليأس منا مأخذا . وكيف يكون ذلك ونحن ابناء امة اصولها في الملأ الاعلى وبنيانها مستفاض فيضاً !

فمهما انحرف المجتمع العربي عن اصوله وزاغ العربي عن محور شخصيته فالعروبة تبقى متصلة بينبوع الحياة مستمدة منه نسغ كيانها . ان الامة العربية لم تكن شهابا قد خطف البصر بسرعته ، ثم مضى كما خيل للاعاجم ، بل انها منارة يتموج شفقها تموج الحياة ذاتها .

* * *

(١) قبر يضم اجداث عدد من الموتى .

مثل الامة كمثل ابي الهول (اسفنكس) في الاسطورة المصرية ، تتجدد في كل جيل من اجيال ابنائها كما كان يبعث اسفنكس حياً من رماده في كل سنة . ان الامة تبقى بمنجوة من عوارض المكان والزمان اذا كانت جذورها في الملأ الأعلى وان تخس النفس او تجف الحياة فذلك لان المظاهر لم تنسجم مع اصولها . يعترى الناس الضمور من تباين ما انطوت عليه نفوسهم من تيارات المرحلة التاريخية ، ومن تخلف ميولهم عن اغراضها ، وكما يغور الشعور في الهيجان من تقصير البوادر عن البيان ، وكما يتشنج الوجه من تخلف العبارة عن النية في النفس تحصل الهرم في الثقافة من ابتعاد الافكار عن الحقيقة .

ان الحياة تستمد قوتها من البيئة . فان بقي الانسان صاحب الحياة في عزلة عن تيارات المدينة او محجماً عن الاتصال الرحماني مع اخوانه في الهيئة الاجتماعية اصبح فاتر الحس فاسد البنية . والمجتمع ذو النزعات الانعزالية ان تأخر في اندثاره بتأثير ماليه من تراث مثله مثل الكوكب الذي ينثر نوره في العالم حتى مابعد انطفاء مصدر الاشعاع ، فسرعان مايستحيل الأفراد انفسهم الى رعاع متطفلين ، يستعيرون عن الغير ثقافات طارئة ، منزوين في ملجأ يلائم طبيعتهم المتردية .

وهل ينهض الطائر الى بما ينبت عليه من ريش ؟ ام هل يحرص الانسان على الحقائق التي لم تنبعث عنه شعوراً ؟

ان النفس ، ان تزحف مذعورة ، فان الذعر من تجويفها . فانها تحمل جسمها المتردي دفيناً الى القبر . واذا نزع احداثنا الى التحرر من هذه البيئة فانما هذه نزعة النفس الى خلع القشرة التي تعوقه عن الحرية . فبالحرية تنمو النفس وبها تشتد ذكوة الحياة . وليس الانقلاب الا الثورة على الدخيل والبالي اللذين يعوقان المرء عن بلوغ الأمنية .

وما شأن الطب ؟ اذا لم يكن ازاحة الدخيل عن الجسم وايقاف اذاه ريثما تعمر الحياة عطبها :

واما الحرية فتحصل من انسجام مظاهر الحياة مع اصولها انسجاماً تتجاوب به الفكرة مع عبارتها فيفيض الوجدان بهذا التجـــاوب شعوراً يرتقي عليه صاحب الفيض نحو غايتـــه متفائلا . انما البعث هو بعث الحياة المتبلورة تجلياتها رموزاً . فمثل النفس من حالاتها كمثل الشمس التي توقظ الحياة الراقدة في الاحداف .

. . .

تنزع الحياة الى تحقيق مايكمن فيهـــا من أمان وآمال

وتحمل ، بنزعتها ، ابناءها على تذليل الصعوبات متعاونين ؛ حتى اذا ماعاقها وضع بال او عرف دخيل او ميل هجين ثارت عليه واشتركت في ثورتها المنحدرين منها والحاملين لمولها . تنشىء الحياة بيئتها نزاً فتجعل منها جوا يزهو فيه ابناؤها متكاملين .

ولكن اذا قصر العرب عن معالجة شؤونهم في عهدي الاحتلال العثماني والانتداب ، فقد تبنى الدخلاء وهم متنهون بالعروبة والاسلام ، الشؤون العامة فألهونا بضجة مصطنعة عما كان يكتفنا من أخطار . لقد تآمر الأغيار علينا انتقاماً لدولتهم الدولة العثمانية واستكابوا على رعاية الأجنبي حرصاً على الاملاك التي سلبوها من اجدادنا ، وقد اصطنع احفاد العثمانيين من بيئتنا جواً موبوءاً تتوسب فيه النذالة والسفالة سبلا حتى اصبح الميل سوياً . وعبثاً كانت الضحايا تهدر الضحايا في سبيل الغاية.

وهل ترى الاجانب لنا متسعاً من الوقت لرؤية مشاكلنا ومعالجتها بما تستحق من عناية ؟

اما اليوم ، وقد آل امرنا الينا . على الرغم من كل مؤامرة ودسيسة ، فقد اصبح من واجباتنا الاولى ان نجابه المشاكل التي تعترض نهضتنا فندرأ الأخطار التي تحيق بكياننا مجابهة

نشترك فيها الجمهور بالعمل من اجل تقويم الاعوجاج .

. . .

وماهي مشاكلنا ؟ مم نشكو نحن العرب ؟

ان الشكوى التي تدور على الافواه هي عن تخلفنا عن الامم في نهضتها ؛ فشبابنا يشكو من رجعة الجمهور القهقري الى ظروف قد فات اوانها ، يشكو من سكب المشاعر المستحدثة من المرحلة التاريخية الراهنة في قوالب الماضي البالية . والجمهور يضج من تفرق امتنا الى طوائف ومن تباين النزعات في حل امهات المسائل .

أكانت الحياة لتنهج سبيل الهرم فتستغرق فيما مضى ؟ام كانت لتنشىء المستقبل على ضوء العبر ؟

أكانت الامة لتقوم على التشتت والتفرقة ؟ام كانت لتجمع شملها فتمهد سبيل الارتقاء الى تحقيق الأماني ؟

ان القلق المستحوذ على نفوسنا انما هو شعورنا بانحراف مؤسساتنا عن اصولها ، وتحول تراثنا الى رموز هائمة هيام الأوراق المنفصحة عن اغصانها .

ومتى كان التراث ليحجب النفوس عن منهل الحياة ؟ وهو الذي يعينهم في صبوتهم الى المثل الاعلى .

ان مايبدو من فتور في التحمس ومن ابهام في الشعور انما هو نتيجة حياة نحياها على الهامش ، منزوين عن سير التاريخ .

ان مايبدو من قبح وبشاعة على مظاهر حياتنا ليس سوى رمز هذا الانحراف . والى هذا الانحراف يرجع العقم في مناحي حياتنا ، عقم في الادب والفن ، عقم في التشريع والسياسة ، عقم في العلم والصناعة افليس كل مالدينا مقتبساً عن الغير او مستعاراً ؟

وكيف نتمكن من حل مشاكلنا وقد جفت الحياة في شيوخنا ، ونفد شعاعها في كهولنا ؟

لقد أبقى الدهر لنا بنجوة عن الدخيل والفساد البالي النساء والاطفال والعمال . فالتوجه اليهم بعنايتنا فنذكي فيهم الشعور بالعزة القومية وننمي فيهم الحرص على المصالح العامة . واذا ماانطلقت القوى الكامنة في الجمهور ، وفيه غزرت الحياة لقربها من الينبوع ، يتدفق الشعور كالسيل الذي يقلع كل ماتراكم في مسيره من عثرات . مثل الجمهور في سيره كمثل الثلاجة التي تقلع الصخور . فتكتسب بالعثرات ، اذا اندرجت فيها ، قوة تمهد بها السبيل . وبهذا التيار تنجرف التقاليد البالية والعادات الدخيلة على البيئة وحتى الذين تعثرت بهم الامة

في منهضتها .

ولما كنا نشترك في بعض هذه المشاكل مع الامم الاخرى ، فقد اصبح الواجب يدعونا الى الاستفادة من تجارب السباقين في مضمار الحضارة ، من التجارب التي تحرر بها الفرد من تقاليد البيئة واستبداد الطغاة ، من التجارب التي استقلت بها الامم بحسب وجهة نظرها في الحياة .

. . .

ملحق :

نقدم فيما يلي « مقتطفات من كتب اشهر المستعربين امثال ابن المقفع ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي . ونترك للقارىء امر تقدير ما كان لهؤلاء الكتاب من تأثير سيء على الفكر العربي وعلى اسلوب بيانه :

ابن المقفع :

قال في كتابه (الادب الكبير : « ان ابتليت بصحبة السلطان ، فعليك بطول المواظبة في غير معاقبة ، ولا يحدثن لك الاستئناس به غفلة ولا تهاوناً » ، تبصر ما في الوالي من اخلاق التي تحب له والتي تكره ، وما هو عليه من الرأي الذي ترضى له والذي لا ترضى ، ثم لا تكابرنه بالتحويل له عما يحب

ويكره الى ماتحب وتكره » ، « وان ذكرك ذاكر عند السلطان بسوء في وجهك او في غيبتك ، فلايرين السلطان ولا غيره منك اختلاطاً لذلك ولا اغتياظاً ولاضجراً » ؛ « جانب المسخوط عليه والظنين به عند السلطان ولايجمعك واياه مجلس ولا منزل ، ولاتظهرن له عذرا ولا تثنين عليه خيراً عند احد من الناس » ؛ « واذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ولاتشغل طرفك عنه بنظر الى غيره ، ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفس واحذر هذه الخصلة من نفسك وتعهدها بجهدك » ؛ « لاتشكون الى وزراء السلطان ودخلائه مااطلعت عليه من رأي تكرهه له فانك لاتزيد على ان تفطنهم بهواه او تقربهم منه ، وتغريهم بتزيين ذلك له والميل عليك معه » ؛ « فذلل نفسك باحتمال ماخالفك من رأي السلطان وقررها على ان السلطان انما كان سلطاناً لتعصبه في رأيه وهواه وامره ولا تكلفه اتباعك وتغضب من خلافه اياك » ؛ « لاتكوننن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعته في المكروه عندك وموفقته فيما خالفك وتقدير الامور على اهوائه دون هواك وعلى ان لاتكتمه سرك ولاتستطلعه ماكتمك وتخص مااطلعك عليه عن الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث

به وعلى الاجتهاد في رضاه والتلطف بمحبته والتثبيت لحجته والتصديق لمقالته والتزيين لرأيه وعلى قلة الامتعاض لما فعل اذا أساء ، وترك الامتهان لما فعل اذا احسن ، وكثرة النشر لمحاسنه وحسن الستر لمساوئه والمقاربة لمن قارب وان كانوا بعداء والمباعدة لمن باعد وان كانوا قرباء والاهتمام بامرهم وان لم يهتموا به والحفظ لهم وان ضيعوا والذكر لهم وان نسوا والتخفيف عنه من مؤونتك والاحتمال له كل مؤونة والرضى منه بالعفو وقلة الرضا من نفسك له الا بالاجتهاد ».

الفارابي : من كتابه « المدينة الفاضلة »

« القول في تعاقب الصور على الهيولى »

وعلى هذه الجهـــات يكون وجودها اولا فاذا وجدت فسبيلها ان تبقى وتدوم ولكن لما كان هذه حاله من الموجودات قوامه من مادة وصورة ، وكانت الصورة متضادة . وكل مادة فان شأنها ان توجد لها هذه الصورة وضدها فصار لكل واحد من هذه الاجسام حق واستئهال بادته فالذي يحق صورته ان يبقى على الوجود الذي له والذي يحق له بحق مادته ان يوجد وجودا آخر مضادة الوجود الذي هو له واذ كان لا يمكن ان يوفي هذين معا في وقت واحد ولزم ضرورة ان يوفي هـــذا

مرة فيوجد ويبقى مدة ما شروط الوجود ثم يتلف ويوجد ضده ثم يبقى ذلك وكذلك ابدا فانه ليس وجود احدهما اولى من وجود الاخر ولا بقاء احدهما اولى من بقاء الاخر اذ كان لكل واحد منهما قسما من الوجود والبقاء ، وايضا فان المادة الواحدة لما كانت مشتركة بين ضدين وكان قوام كل واحد من الضدين بها ولم تكن المادة اولى باحد الضدين دون الاخر ولم يمكن ان تجعل لكليهما في وقت واحد لزم ضرورة ان تعطي تلك المادة احيانا هذا الضد وأحيانا ذلك الضد ويعاقب بينهما فيصير كل واحد منهما كان له حقا عند الاخر ويكون عنده شيء ما لغيره وعند غيره شيء هو له فعند كل واحد منهما حق ما ينبغي ان يعيد الى كل واحـــد من كل واحد فالعدل في هذا ان يوجد مادة هذا فيعطي ذلك او يوجد مادة ذلك فيعطي هذا فيعاقب ذلك بينهما فلاجل الحاجة الى توفية العدل في هـــذه الموجودات لم يمكن ان يبقى الشيء الواحد دائماً على انه واحد بالعدد فيجعل بقـــاؤه الدهر كله على انه واحد بالنوع ...

ابن سينا في كتابه النفس :

في تقرير انه ليس شيء من القوى النفسانية يحادث عن

امتزاج العناصر بل وارد عليها من خارج الاشياء المختلفة مهما تركبت وحصل في المركب صورة فاما ان تكون مائلة الى شيء من صور البسائط او لاتكون كذلك . فان لم تكن كذلك فاما ان تكون حاصلة عن جملة صور البسائط بحسب مفارقة التساوي واما ان لاتكون منتميـــة الى شيء من صور البسائط بل تكون صورة زائدة على مقتضى صور البسائط بحسب اعتبارها بالبسائط وبحسب اعتبارها بالتركيب. اما مثال القسم الاول فالطعم المائل الى المرارة عند تركيب صبر غالب وعسل مغلوب . واما مثال الثاني فاللون الادكن المتكافيء في النسبة الى طرفي البياض والسواد الحاصل عنـــد تركيب ابيض واسود متفاوتين . ومثال الثالث من الاقسام المذكورة فنقش الخاتم الحاصل في الطين المركب من التراب اليابس والماء السائل عند اختلاطهما فمعلوم ان النقش الحاصل في الطين ليس بمقتضى صور البسائط لااذا اعتبرت بحسب التركيب ولا اذا اعتبرت بحسب البسائط ، ومعلوم ان القسم الاول اذا كان واقعـــا بين بسائط متضـــادة الصور لابحسب الاختلاط بل بحسب الامتزاج ان الاضداد المغلوبة لايكون لها في ذواتها او في تأثيراتها الخاصة بها وجود لامتناع سريان

ضدين في حامل واحد معا بل يكون غاية تأثيراتها احـــلال النقص بقوة الغالب فقط . ومعلوم ان القسم الثاني مهما وجـد اوجب التكافؤ والتساوي في مقتضى افاعيل صور البسـائط ومقتضى انفعالاتها .

ومعلوم ان القسم الثالث اذا وقع لم يكن حاصـلا من من ذات المركب اذ ليس له لابحسب اعتبار صورته البسيطة ولا المركبة فاذن هو مستفاد من خارج .

فواجب اذ قدمنا هذه المقدمات ان نخوض في موضوعنا فنقول ان النفس انما حصلت في الاجرام المركبة المتضـادة الصور ولايخلو حصولها فيها من احد الاقسام الثلاثة لكنه ليس من القســم الاول والا فهو حرارة او برودة او يبوسة او رطوبة وقع في ايها كان نقص ما . وكيف تستعد احدى هذه القوى ان تصدر عن نفسها الافاعيل النفسانية مع حصول النقص التركيبي وما كانت شغلت به حالة كالها وقوتها بل كيف تحرك شيء منها الا الى جهة واحدة فقط ولماذا وجب مقتضى الممانعة مع الحركات النفسانية حتى تورث ممانعتها كلالا اذ تأثير شيء واحد بالذات لايقع فيها ممانعة . ولاهو من القسم الثـــاني اذ وجود القسم الثاني من المستحيل وذلك ان العناصر مهما تركبت

على تساوي القوى اوجب ذلك فيها بطلان جميع التأثيرات المنسوبة الى كل واحد منها فلم يكن اداخلي عن المركب ان يتحرك لا الى جهة العلو والا فالحرارة غالبة والبرودة مغلوبة ولا الى اسفل والا فالبرودة مغلوبة بل ولا ان يسكن في الاحياز الاربعة . والا فالطبيعة الجاذبة اليها فيه وقد قبل ان جميعها متساو في الغلبة والمغلوبية وهذا خلف فاذن هذا الجسم لاساكن ولامتحرك وكل جسم احاط به جسم فاما ساكن واما متحرك وهذا ايضا خلف وما ادى الى الخلف فهو خلف فنقيضه وهو قولنا ان ذلك ممتنع صادق . فاذن ليس على سبيل القسم الثالث وقد قيل ان ما كان على سبيل القسم الثالث فهو من خارج . فالنفس مستفادة من خارج وذلك ماارد نا ان نبينه .

* * *

الغزالي : في كتابه المنقذ من الضلال

ولو قيل لواحد (من الطبيعيين) : «هل يجوز ان يكون في الدنيا شيء ، هو مقدار حبة ، يوضع في بلدة ، فيأكل تلك البلدة بجملتها ، ثم يأكل نفسه فلا يبقي من البلدة وما فيها ، ولا يبقى هو نفسه » لقال : « هذا محال وهو من جملة الخرافات

وهذه حالة النار ، وينكرها من لم ير النار اذا سمعها ، واكثر عجائب الاخرة هو من هذا القبيل . فنقول للطبيعي ، فلم لايجوز ان يكون في الاوضاع الشرعية من الخواص ، في مداواة القلوب وتصفيتها ، مالا يدرك بالحكمة العقلية ، بل لايبصر ذلك الابعين النبوة ؟ بل قد اعترفوا بخواص هي اعجب من هذا فيما اوردوه في كتبهم وهي من الخواص العجيبة المجربة في معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق بهذا الشكل :

ب	ط	د
ز	ه	ج
ى	ا	ح

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

يكتب على خرقتين لم يصبها الماء ، وتنظر اليها الحامل بعينها ، وتضعها تحت قدميها ، فيسرع الولد في الحال الى الخروج . وقد اقروا بامكان ذلك واوردوه في كتاب « عجائب الخواص » وهو شكل فيه تسعة بيوت ، يرقم فيها رقوم مخصوصة ، يكون مجموع مافي جدول واحد خمسة عشر ، فراعته في طول الشكل او في عرضه او على التأريب .

كون والمدنية الحديثة

نجمل بكلمة حضارة المدنية والثقافة ، فنخص المدنية بالاوائل المقتبسة عناصر بنيانها من الطبيعة بقصد التأثير فيها ، كالسيارة ، والهاتف والطيارة ... ونخص الثقافة بجملة الرموز التي تدل على معان انسانية اي بكل ما يعبّر عن النفس ثم يعود فيشترك في انمائها كاللسان والفن والتشريع ...

ولكن مايبدو بين المدنية والثقافة ، بين ميل الاولى الى السيطرة على الطبيعة واخضاع ظروف البيئة لمشيئة الانسان وبين ميل الثانية الى الكشف عن آفاق الانسانية المتسامية لايعني استقلالهما تمام الاستقلال ، فان وجهتي الحضارة تلتقيان في مبدأ مشترك الا وهو ان كل ما هو انساني يحمل طابعاً ورمزاً يتحول لدى الوعي الى معنى . فالبناء كملجأ مثلاهو من طبيعة الآلة بينما هو كاسلوب يتكيف بحسب الغاية التي انشيء

من أجلها ، وذلك ما يجعل اسلوب القامة غير اسلوب الكنيسة واسلوب القصر يختلف عنهما كليهما .

أليست الآلة معرفة قد تحولت الى العمل ؟ والثقافة هي ايضاً تستعين بتجارب الاجداد كوسيلة لبعث تراثهم حياً في نفوس الاحفاد .

هكذا يتلازم في ، الحضارة ، المعرفة والآلة تلازم الوظيفة مع العضو في الاحياء ، كلاهما يستهدف نفس الغاية ، وعلى الانسجام بينهما يقوم تقدم الامة وتكاملها ، وبمدى توافقهما تقاس مراتب الامم في سلم الانسانية .

فاذا كان الانسان يحول بالصناعة المناسبات الاصيلة بين الحوادث الطبيعية الى قواعد عملية يسيطر بهـــا على ظروف البيئة فيتصرف فيها كيفما شاء ، فانه يرتشف بمعرفة الشؤون الانسانية من ينبوع الحياة ، وكل درجة يرتقيها في هذا المنحى تمنحه افقاً متناسب المدى مع النفاذ في صميم الكائنات .

ومع ذلك فقد ضل بعض اعلام الفكر الحديث في فهم العلاقة بين المدنية والثقافة ، ولكم كان خطأهم فادحاً اذ انكروا المعرفة المبدعة التي تتخطى حدودا الواقع لتطلع من مرتبة رفعتها على الافاق الانسانية المتعالية . ان تقصير الفكر

هذا ان لم يؤد الى تلاشي الانسانية ، فسوف ينتهي بتضاؤل وزن الانسان ، فليس المرء حيث يضع نفسه ، كما يقول المثل العربي !

والا فما من احد ينكر ما كان للعمل من تأثير على تقدم العلم او على رفع مستوى المعيشة ، ومن لا يقر بأن العلم نبوة يتلازم فيها العمل مع المعرفة ؟

انا نرى في الانسانية قطباً مباينا للطبيعة وهذا التبـــاين يظهر في الاختلاف بين الصبوة والجاذبية ، بين الامنية التي تنهض بالهمة نهضة متناسبة مع رفعة الغاية وبين انجذاب الاجسام بعضها نحو بعض مع قرب المسافة (قانون نيوتن)

. . .

لقد زعم المسؤولون عن تطفلهم على الشؤون العامة ان اسباب تخلفنا عن ركب الحضارة تعود الى تأخر نهضتنـــا ، وكأن الزمن بحسب هذا الزعم يلازم تاريخ الامم كما يلازم نمو الجسد . فيالله من زعم سخيف حاول المارقون ان يستروا به تقاعسهم عن خدمة الامة .

واذ نعود الى البحث في العلاقة بين الزمن وبين كلتا وجهتي الحضارة نبغي من ذلك تقويم الخطأ الشائع في تفسير البطء الذي

اعتزى نهضتنا راجين من هذا التقويم بعث الطمأنينة في النفس والثقة بالمستقبل .

وهل للزمن من شأن في تقدم المدنية ؟ اهو في صنع الآلة ؟ ام في استعمالها ؟ اليست وفرة الانتاج في المعمل تتناسب مع مايتم فيه من توزيع في العمل ؟ وما المدة التي يحتاج اليها الانسان في تعلم استعمال الهاتف مثلا ؟

ان الآلة طبيعتها من طبيعة التركيب الكيموي ؛ بناؤها مستقل عن الزمن ، ووظيفتها تتم حالما تستكمل شروط هذا البناء .

واذا كان المعنى الذي ترمز اليه الآلة يتطلب فهمه الوعي ، وكان الوعي يقوم على فعالية الدماغ المنطوية على الزمن انطواء الاحياء عليه كلها فان علاقة الزمن بالمدنية تصبح على قدر ماتحمل الآلة من معنى اي على قدر ما تمس الثقافة .

ولكن الا تتجدد الحياة في كل جيل من اجيالها فتستقل بهذا التجدد عن البيئة استقلالا يصبح فيه الزمن من تاريخ الامة عبارة عن مدة نمو الجيل نموا ثقافيا ، عبارة عن دورة تعليمية تستغرق عشر سنين بين بداية التحصيل وغايته . كذلك يلم التلميذ خلال بضع سنين بعلم كالهندسة مثلا استغرق وضعه

جهود الانسانية طيلة خمسة وعشرين قرناً

اذن فتطور الأمم لا يقاس بعدد السنين من تاريخها ؛ بل بوعي أبنائها وجهودهم في سبيل تحقيق الاماني القومية . والامم المتخلفة في تطورها كروسيا واليابان مثلا لم تنهجا غير منهج الاقتباس عن السابقين في مضمار الحضارة .

وبياناً لوجهة النظر هذه نعيد هنا بعض ماورد في هذا الشأن في كتابنا « العبقرية العربية في لسانها »

« ان كل كائن حي ينمو بتفرع الجرثومة (الخلية الاولى) وبتلازم الخلايا المتفرعة عنها وانسجامها تلازماً في مراحل تطور الكائن وانسجاماً بين انسجته المتنوعة وأعضائه المختلفة حتى كأنما النمو في وحدة حياتية قوامها الزمن »

« بالزمن يتعين محتوى هذه الوحدة وبه يتحدد مدى نموها وما تمايزت الأنواع الحيوانية وتفاوتت درجاتها الا بتمايز الفسحة في هذه الوحدة اذ يتم فيها التجاوب بين مظاهر الحياة والانسجام بين العضو والوظيفة . بينما يستقل الزمن عن المعنى في تشييد المؤسسات العامة وان مس الزمن الحضارة فلا يكون ذلك الا بوعي الزمن لها وعياً تنبعث به الحياة الكامنة حقائق . »

واذا كانت الانسانية قد تقدمت تقدماً مطرداً فذلك لان

الآلة استقلت في تطورها عن الزمن . فقد يرجع اليها تغيير البيئة المشيئة الانسان ، بحيث اصبحت الارض كقرية تجتمع بين البشر .

. . .

مثل المدنية في تقدمها كمثل الموجة ، فمن عام عليها أوصلته الى اهدافه ومن تخلف عنها غاب بين طياتها والويل لمن تخلف عن سير التاريخ .

ترى ماهو قوام الحضارة التي اخذت تغمرنا بمنتوجها وتستدعي اهتمامنا بسياستها ؟

انها نظرة روحانية في الوجود ادرك بها الانسان نظاماً في الكون وحرية في الوجدان فأصبحت النفس فيها منطوية على مقوماتها انطواء البدن على الهيكل العظمي الذي تتعين به حدود المعيشة

ولما اتخذت الحضارة الحديثة التجربة مدخلا في دراسة الطبيعة والانسانية غدا التقدم نهجها في جميع شؤونها . ان المعرفة المكتسبة تنضم الى ماقبلها فتحفز الذهن بهذا الانضمام نحو المستقبل . وكلمة شعور تدل بنشأتها من « شعّ » على الحدس العربي في التجربة ، فكأن الأشعة التي تنبعث من الاتصال بين النفس والحقيقة

تتحول لدى الاستطلاب بالوجدان الى شعور يلقي خياله أمنية أمام الانسان . ذلك ما يجعل شعار الحياة التفاؤل ونهجها التقدم وغايتها الكمال .

وما ان أسبغت الحياة شعارها هذا على البيئة حتى تحفزت الأجيال لعهد ذهبي في المستقبل . وفي جو كهذا تنقشع الاوهام عن الوجدان وتزول التقاليد البالية عن البيئة . انما التقاليد البالية والأوهام هي مخاليق هجينة تحصل من التباس الوجدان الطبيعية .

ان الاوهام تنقشع عن الوجدان اذا تدرج الانسان في الكشف عن القوانين الطبيعية . وان التقاليد تزول عن البيئة اذا اذا انبعثت في النفس الفعالية التي يثيرها التقدم في العلم والصناعة ومتى تم ذلك أصبح البدي، أمينة . وعند ئذ تتحقق النبوءة القائلة بأن الانسان خليفة الله في الارض وتاج الخليقة . ان مثل الطبيعة كمثل مارد يخضع لمشيئة من يتصل به روحانياً ، وكأن معرفة القوانين الطبيعية منه بمثابة عضلات تتحول الى العمل بالآلة .

واذا كانت الحياة تنمو بنمو الفسحة بين قطبيها ، الطبيعة والوجدان ، فان العلم يكشف عن نظام الطبيعة ويجعل حوادثها شفافة للعقل بحيث تزول وحشتها فتركن النفس اليها . وان الفن يسمو بالذهن الى حيث تبدو الآيات في الوجدان . الحضارة الحديثة

تتميز على الخصوص بانسجام العقل مع الطبيعة ، بانسجام مبدأ الهوية ، وهو قوام المنطق ، مع مبدأ عدم التناقض الذي هو أس الحكمة الطبيعية ؛ تتميز بانصهار هذين المبدأين في وحدانية المفهوم الذي يبنيه الذهن بنيانا رياضياً . وما مبدا عدم التناقض اذا لم يكن مبدأ الهوية نفسه بصورة سلبية . انه عن صمود الذهن هذا الى جذر الوجود نتج زوال الوهم في موضوع الكائنات الخفية كالجنين (مبكروب) والجن (الارواح الخبيثة) . وكيف يتثنى لهذه الخلايق الوهمية ان تنفذ في نسيج الحوادث مادامت لم تشترك في جسمانيتها فتستبدل بكتلتها masse خير هذه الحوادث وهل يصدر عن الشيء اكثر مما انطوى عليه ! أفليس للأثر جواب معادل لما قد تلقى من مؤثر !

وقد يرمز الاعتقاد في الكائنات الخفية الى خير contingence ارادتنا ، او قد يشير الى عجز الصورة التي يبنيها الذهن عن استنفاد ما في الوجدان من معنى . هذا اذا كان لا يدل على تقصير الحواس عن حدس الانسان في ما انطوت عليه الأشياء .

افلم يقض المجهر على بعض هذه الاوهام باكتشاف الجنين سببا للامراض زال به الوهم بالأرواح الشريرة زوالا بلا رجعة .

ولقد شع مبدأ انسجام العلم مع الكون وهما آخر عن الطبيعة

الا رهو اعتبار الدنيا على مثال البدن تنطوي على قوى خفية تبعث بالحوادث وتوجهها كانطواء البدن على الاهواء والغرائز ان هذا الوهم ليذكرنا بالمارد الذي كنا نتمثله يفشدنا في الحاكي (فونوغراف) لدى سماعنا هذه الآلة لأول مرة .

كذلك هو الانسان يلقي صورته على الطبيعة ثم يدرك فيها نزعاته وأمانيه مشخصة .

أما اليوم ، وقد انقشعت هذه الاوهام عن بصيرتنا فلن يكون فيما بعد من تأثير سحري للكلمة في سير الحوادث الكونية .

ومع ذلك فما هو السحر اذا لم يكن رمزا الحريتنا بمعنى تأثير ماينبغي الذهن من قيمة في بعث فعاليتنا بمثل نشترك به في تعيين مصيرنا . ولكن هذه المعرفة الوجدانية لاتؤثر في الحوادث الكونية مالم تتوسل بالبدن ، آلتها ، الآلة التي جهزت في الملأ الأعلى بمنظومة عصبية systeme nerveux ذات مدى متفاوت بالتنوع . ان مثل هذه المعرفة الوجدانية كمثل الاية التي تجعل بشعور بدي ، ماتفصله البوادر في الهيجان أمدة متفرعة .

. . .

اذا كان الانسان يتميز عن الحيوان فان التميز بالابداع كابداع خيال يتخطى به حدود الواقع . ويتخطى الذهن هذه

الحدود اذ يقف عنها بالتأمل قبة يرسم بها قوسا بين الماضي والمستقبل بين الماضي الذي حفظت فيه الذكريات وبين المستقبل الذي تنعكس فيه المواهب أماني ، قبة تنبعث عنها الافكار في الوجدان بوضوح متناسب مع رفعة التأمل في انشاء الخيال اما الحيوان فيبقى ملتصقا بالواقع محصورا في حدوده خاضعاً لاراجيفه .

بالخيال يبدع الانسان المدنية والثقافة ، يبني الاولى بالعلم والصناعة اللذين شق بها طريق سيطرته على الطبيعة ، وينشيء الثانية بالفن والاخلاق فيعين بهذا الانشاء نهج صعوده الى الملا الاعلى . ولذلك فان مرتبة الانسان تقاس بفسحة الخيال ، بفسحة خيال يتحرر به المعنى الصورة .

أما التأمل فيتدرب عليه الذهن بمدارسة العلوم وفيها الرياضيات بصورة خاصة تدربا تنجلي به الحقيقة لذاتها ويتحرر الوجدان مما كان عليه من اوهام وتقاليد بالية ، وعندئذ تنتظم الموجودات وفق طبيعتها في طرفي المكان والزمان كما تتلازم خصائص التعريف بوحدانية مفهوم الهندسة تلازم الزوايا والاضلاع في المثلث مثلا ان العلم هيكل الذهن ، عليه يستند الفكر في سيره وبه تتسق حالاته .

وهل ينشأ العلم عند تنسيق الافكار وتنظيمها أم عندما كتشاف

الحقيقة لذاتها ؟! الا يذكي حبوة النفس الى الذاتية في الشؤن الانسانية ؟ أولا ينمي ميلها الى الكونية في الحوادث الطبيعية ؟ هذا فضلاعن أن اكتشاف الحقيقة لذاتها مستقلة عن الاهواء والاراء العامة يهدي النفس الى معرفة ذاتها منطوية على مقوماتها ويجعل من الانسان حكماً في مصير الانسانية.

واذا اختلفت الامم الحديثة عن الامم القديمة فان الاختلاف يرجع بصورة خاصة الى التقدم العلمي الصناعي في هذه الحضارة تقدماً اصبحت فيه جميع مناحي الحياة تحمل طابعه . اذ ان الحقيقة المكتشفة تنضم الى الحقائق الاخرى فتحول الذهن بهذا الانضمام نحو المستقبل فتبعث في النفس الشعور بالتفاؤل وتذكي الميل الى الاستطلاع . وبناء على ذلك فان العلم من الامم بمثابة الاكسير من الحياة .

هكذا يحول العلم الذهن من الخمول الى النمو وهكذا يرجع، بوحدانية الحقيقة ، التشتت في الآراء الى الانسجام فينتج عن هذا وذاك تحرر الناس من التعصب وزوال الفوارق بين الاقاليم والطوائف .

ولذلك فان من الواجبات القومية الاساسية في المرحلة التاريخية الراهنة السعي الى نشر العلم في جميع اوساط المجتمع

بأوسع وأسرع مقياس ممكن ، ولاسيما وقد اصبح مجتمعنا في تباين ثقافة اجياله اشبه بالمخلوقات الهجينة في الاساطير القديمة : النصف انسان والنصف الآخر حيوان .

* * *

طلعت المدنية الحديثة مطلعاً ميكانيكياً تستوي فيه الكائنات وتنسجم في بنيانه المنظوم الذرة والافلاك ؛ طلعت مطلعاً يتجاوب فيه العلم والعمل كما يتجاوب الشعور مع بوادره في الهيجان وكما تتجاوب الغرائز مع حاجاتها الاشياء في الطبيعة . فان مايبني العقل تحققه التجربة ، وان العمل حافز للعلم ومعيار لصدقه .

واذا كانت الانسانية قد اخذت تخضع الظروف لمشيئتها وكادت تجعل الارض كالجسد طوع ارادتها فان الفضل في ذلك يرجع الى الالة .

وها نحن نعود هنا الى البحث في تحديد نقطة التحول من الحياة الى الانسانية بالاستناد الى المناسبة بين الجسد والآلة ، مناسبة شبه واختلاف معاً :

« ان كلا من الجسد والآلة اداة وان كلا منهما يقتبس مواد بنائه من الطبيعة ، الا ان المعرفة تتحول مباشرة الى العمل في

ابليس اذ ليس للنفس الا ان تريد حتى تحقق مشيئتها . فمكانة العمل معرفة تحصل ادراكها من خلال المكان . في حين ان المعرفة تبقى مستقلة عن العمل في الآلة ، تحققها يفتقر الى عضو انشئت منظومته المادية في الملأ الاعلى . ومن ذلك الاختلاف بدأ افتراق الانسانيه عن الحياة ، اذ به اصبحت الانسانية حرية بمعنى الاطلاق والنمو ، انطلاق من قيود القدر وغمر في اتجاه الينبوع .

فمادام العضو الوظيفة يتلازمان في الاحياء تبقى الحياة مرتبطة بالحوادث خاضعة لأراجيفها . الا ان نمو العدان ، اي نمو المدة بين انعقاد الحياة على الرشيم وبين الشيخوخة يزيد من استقلال المصير عن ظروف البيئة . ففي الاحياء الدنيئة كالبعوض مثلا ، حيث يكون العدان آنيا ، تخضع الحياة خضوعاً تاماً لظروف البيئة . وفي الحيوانات الراقية كالخيل ، حيث يمتد العدان الى بضع سنين ، تصمد الحياة ضد تقلبات الظروف خلال مواسم السنة . اما الانسان ، وقد يبلغ عدانه الخمسين عاماً ، فتقاوم الحياة فيه عاديات الزمان وتسيطر على ظروف البيئة بحيث حق له لقب تاج الخليفة . ولكنه مع ذلك لم يصبح خليفة الله في الارض الا باختراعه الآلة كأداة يتصرف فيها كيفما شاء . فبالآلة

شق الانسان طريق الحرية وبها استطاع ينظم بيئته على الصورة التي تصبح فيها شخصيته نامية ابدا .

وعلى هذا فاذا كانت الحياة قد بدأت مصيرها بانشاء بدئها قاعدة تستقر عليها وتحقق بها مشيئتها ، واذا كانت قد أبدعت خلال الادوار الجيلوجية باستجابتها لطوارىء البيئة ، فما على الانسان الحالة هذه ، بعد ان جعل الظروف طوع ارادته بالآلة ، الا ان ينظم هذه الظروف بما يساعده على استئناف الابداع لخلق نوع من البشر اكمل فأكمل .

• • •

تتميز الصناعة الحديثة عن القديمة بتوزيع العمل بين العمال وبلوغ الاختصاص غايته من السرعة والاتقان بحيث نتج ثروة في الثروة العامة وارتفاع في مستوى المعيشة حتى لقد تعدى تأثير الصناعة حدود استثمار الطبيعة وحدود التبادل بالمنتوج بين الافراد والامم الى جعل الناس يتعاونون ضد الاستبداد .

خذت الشعوب تعوض عن الاصالة بالعلاقات التي تحصل من طبيعة العمل واخذت تقيم الانسجام بين الناس على اساس المصلحة بعد ان كانت تقوم على مبدأ الرحمة . ولما اخذت الرفاهية الحاصلة من الصناعة الحديثة تحرر الميول المكبوتة

البعث، المشاعر من النفوس انبعاثاً زهت به الجماهير كما تزهو الحياة بنمو جسدها اذا النمو هو بحصلة حياة تتجاوب فيها الميول مع حاجاتها . والى تأثير الصناعة هذا يرجع الفضل بان اصبحت الارض مجالاً حيوياً للانسان .

لكننا نحن العرب ، ان تنبهنا الى الآراء العامة في هذه الحضارة ، فان يقظتنا لن تستوفي شروط كيانها مالم نستكمل شروط نهضة صناعتنا . ان مثلنا في هذه المرحلة التاريخية اصبح كمثل سطيح الكاهن في الجاهلية ، فرجاحة العقل وكمال الحواس لايمكنان صاحبها من تأثير في مجرى الحوادث اذا كان هيكله نضروفياً .

الثقافة الحرية واتجاهاتها

بدأت الحضارة الحديثة بداية كل الاحياء ، بدأت بالثورة على القرون الوسطى ، على الدير فيه والتكيه ، على نزعة الدراويش والنساك الى الاستسلام والاستكانة . انها كانت تبغي من ثورتها تحرير الحياة من تقاليد تعوقها عن الانطلاق في بناء عالم تحقق فيه مراميها .

اخذت الحضارة الحديثة تحقق ما يكمن فيها من استعدادات بتجاوب المدنية والثقافة ، قطبيها ، وبتبادل العلم والصناعة ، ركنيها ، فتؤلف بالعلم بين العقول وتحرر به الاذهان من الاوهام وتحفز الناس بالصناعة الى استرداد حقوقهم متحدين . وها ان تحررت العقول من وصاية الكنيسة واستقل مصير الناس عن ارادة الملوك والامراء حتى انطلق العمل في تطوره متحدياً اغراض الطبقة البورجوازية . واذ ذاك طفقت الجماهير تهب ،

بسرعة متزايدة ، الى المساواة والحرية : حرية الافراد بتعيين مصيرهم وتساوي الناس في حق تعيين هذا المصير . كانت الجماهير المستيقظة تستهدف من هبتها خلق جو تحقق فيه ابناء الامة شخصيتهم على اساس الاخوة .

لكن الامم لم تستيقظ على مستوى واحد من الحضارة . كان بعضها قد تخلف عن بعض في هذا المضمار مما جعل تطور المتخلفين يتحول احياناً الى طفرة . وكانت عنف الطفرة يتناسب مع سرعة الاتصال بالالة بحيث اصبحت الثقافة مقصورة عن المدنية تقصيراً نتج عنه فقدان القياس بين القادة والشؤون العامة ، تقصيراً نتج عنه انفصام الانسجام بين المساواة والحرية قطبي الثقافة الحديثة ، فاختل التوازن في كيان الانسانية ولم تبق الحرية والمساواة منسجمتين الا في الامم التي استكملت شروط نهضتها خلال عصور مديدة بوعي القانون وبراقبة رجال الدولة في تنفيذهم ارادة الامة .

. . .

لما بات الناس حيارى من تجويف الحياة فيهم في اواخر القرون الوسطى اخذوا يتحرون في الوحي او في ارادة طاغية عن مستقر تركن اليه نفوسهم التائهة . واذا هم ثبتوا الارض

اذ ذاك على قرن تور فما كان ذلك الا رمزاً لهذا المستقر .

وبينما كانت القرون الوسطى تحتضر كانت المدنية الحديثة تشرع في اعادة الانسجام للوجدان بانسجام قطبيه : الطبيعة والانسان ، بدا العقل في الحضارة الراهنة صالحاً للكشف عن نظام الطبيعة واصبح فيها الوجدان مبعث القيم الاخلاقيـــة الانسانية . وهل تستكمل الانسانية شروط حقيقتها الا بادراكها النظام وجعلها الوجدان حكما في قيم الاعمال ؟

ان مثل الحضارة الحديثة كمثل مبدعها الانسان ، فكما تشير اسطورة آدم الى الانسان كائن بين الارض والسماء فهو من اديم الارض (آدم من الاديم) ويستمد منها قوته (الادامة) بحيث يصبح من الطبيعة بمثابة البرعم من الشجرة : روحه مستفاضة من الملأ الاعلى وهو على صورة الاله باريها . وكذلك تكشف الحضارة الحديثة عن العقل ناشداً النظام مرجعاً الحوادث الى منظومة اجزاؤها متلازمة متتامة . واذ قالا سبينوزا حملته : « لا يدرك العقل الاشياء الا من خلال الأبدية » ، ابدية التلازم بين الاضلاع والزوايا في المثلث مثلا ، اذ قال عبارته المأثورة هذه كان يلخص وجهة نظر العلم في الحضارة ، الوجهة الـــتي يتجلى فيها العقل والكون في انكشافهما وخضوعهما لمبدأ الضرورة

هذا من ناحية ، وهي من ناحية ثانية تكشف ايضا عن الفن والاخلاق في صيرورتها الى الابداع صيرورة متفاوتة بتفاوت مدى الالمام في التجربة الروحانية .

هكذا تنطوي الحضارة الحديثة على تباين في بنيانها ، تباين العلم والاخلاق ، مقوميها ، بحيث يزداد تمايز الطبيعة والانسانية وضوحاً .

ان الحضارة على صورة الحياة التي هي تجليها تمس الضرورة بانحدارها نحو الطبيعة فتلتقي عند غاية انحدارها بالمساواة الرياضية وتصبو نحو الملأ الاعلى فتدرك الآيات الفنية الاخلاقية . فالنفس ، اذا اتجهت نحو تجلياتها وتلقتها بالحواس بدت لها هذه التجليات طبيعة ، واذا هي اتجهت نحو الصميم وادركت التجليات لدن بدورها في الوجدان اصبحت ملأ أعلى والملأ الاعلى والعالم يتحدان في النظرة الروحانية وعند ملتقاهما تبدأ العقوبة (النزة) وعند مفترقهما تبدو الحرية . واذا اقتبس الجسد من الارض قوته فان النفس ايضاً تقتات بالحقيقة فتزكو .

والحرية تبدو في الوجدان بوضوح متناسب مع ماتبدي النفس من عمق في تجلياتها بحيث ينكشف على شفق المعنى الاتصال بين الطبيعة والملأ الاعلى ، بين الضمير (اللاشعور) والشعور

الا ان الصورة لاتستنفد المعنى وليس من مقياس مشترك بينهما ، مما حمل العقل على ايجاد الرمز كنقطة اتصال بين الثقافة والمدنية . وان يكشف تمايز قطبيها هذين سبيل العلم والعمل فيرتقي الانسان بهذا التمايز نحو بنيان الوجود فيدرك كنهه نظاما ، فانه يفقه ايضا بهذا التمايز ماانعقد عليه البنيان الفني الاجتماعي كرسالة.

. . .

اخذت الحضارة الحديثة تحقق ماانطوت عليه فكرتها على مراحل : بدأت بالانقلاب الفكري اذ اكتشف كوبرنيك النظام الشمسي ، ثم تلا هذا الانقلاب ثورة السكون والفرنسيين الاجتماعية ، الثورة التي تثبت بها حق الانسان في تنظيم شؤونه حسب مشيئته ، وتكامل هذا التطور اخيرا بقيام الامم بالمطالبة بحقها في الاستقلال والسيادة . والوجهة الانسانية لهذه الحضارة قد لخصت بكلمة مستعارة من اليونانية الا وهي الديمقراطية.

تقوم الانسانية الجديدة على مبدأين : مبدأ انبثاق القيم الاخلاقية عن الوجدان ومبدأ انطواء النفس على عقل تكفل به شؤونها . وبحسب هذا النظام يكون الناس متساوين في مبدأ تمييز الحقيقة من الخطأ وفي مبدأ تمييز الخير من الشر . وان

كانوا متفاوتين في استجلاء الحقيقة وفي التعبير عنها . واذ قال ديكارت جملته المأثورة : « الذوق السليم اعدل الاشياء توزيعا بين الناس » فقد عبر عن اتجاه الحضارة . ان الجمهور ان يعجز عن التعبير عن آرائه فان الرأي الصائب يلقى صدى في وجدانه ، ولولا ذلك لما اشترك الجمهور مع المشرع في تشييد بنيان الامة . ان الناس انما يتحدون بوحدانية الحقيقة لا بخضوعهم للضرورة كما هي حالة الاشياء في الطبيعة . واذا كان الانسان يتمتع بقيمة مطلقة يتميز بها عن الاشياء والاحياء فانه يتلقى القيمة من اتصاله بالملأ الاعلى . وليست المساواة والحرية سوى مفهومين يرجعان الى مبدأ يتعدى به الانسان حدود سلسلة الحوادث الطبيعية . واما الاشياء فتبقى مندرجة في دائرة الطبيعة المغلقة خاضعة لمبدأ الضرورة .

وأنى للطبيعة القدسية ، قدسية الحقوق والواجبات ؟!

ولئن تفتح الوجدان بتجاوب حالاته بين قطبيها : الصورة والمعنى فان المدنية والثقافة قد اخذتا تتعاونان على تعيين حدود الحقائق ، تحددان بالعقل التجارب الممكنة وتحرران بالعلم المفاهيم الاخلاقية من الصور المجنحة وتستجليان معنى الحرية كاختيار واصطفاء بين الحالات المختارة .

تظهر الحرية بصورة خاصة في انشاء الجو الانساني الذي تكشف فيه الحياة عن مكنوناتها في تذليل الصعوبات التي تعترض سبيل الاماني . انها جهد في الارتقاء وجهد في ازاحة العثرات . ولكن اذا تغلب المعنى السلبي الاخير على معنى الاصالة في فهم الحرية في الثقافة الحديثة فذلك لان الحرية تحققت فيها بنضال ضد كل مالا ينبثق عن الوجدان أو مالا يلاقي صدى في نفس الانسان . غير ان مفهوم العرب للحرية ظل على نشأته البدائية : اخلاص في النيه وخلوص من كل شائبة .

• • •

طلعت المرحلة التاريخية الراهنة مع الصناعة الحديثة ومع جهود الامم في سبيل استقلالها وحرية ابنائها فالتبس طابع مطلعها مع مراحل تطورها . اخذ المعمل يجذب اليه الناس عمالا فينقلهم من بيئتهم الاصلية : الاسرة والامة ، الى نقابات يناضلون فيها مجتمعين من اجل تحرير الآلة وجعلها ملكا للدولة واخذ يرتفع من اعماق الحياة نداء اخر يدعو الجماهير الى الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال .

ولما كان مطلع هذه المرحلة التاريخية قد رافق ظهور علمي الفيزياء والكيمياء وكان هذان العلمان قد نتجا عن تطبيق

الرياضيات على دراسة الطبيعة ، اصبحت كل محاولة لحل المشكلة الانسانية تحمل طابع هذا المطلع اي طابع العلوم الرياضية . واحدى هذه المحاولات كانت الشيوعية .

استندت الشيوعية الى العلم في محاولتها خلق نظام سوي تستوي فيه الناس كما تستوي الحوادث الطبيعية بالخضوع لقوانين حتمية . واستعانت بما يحدثه العلم من انسجام بين العقول لتحقيق غاياتها واستعانت ايضا بما تحدثه الصناعة من تنظيم بين العمال داخل حدود الوطن وخارج هذه الحدود بين الامم وكانت هذه المحاولة تستهدف المساواة بين الناس في شروط المعيشة علاوة على المساواة في تعيين حق المصير ، الحق الذي ثبتته الديموقراطية .

وكما استندت الشيوعية الى نهج العلوم في حل المشاكل الاجتماعية على اعتبار الشؤون الانسانية والحوادث الطبيعية تخضع سواسية لقوانين طبيعية حتمية فكذلك حركة البعث القومي ، استعانت بدراسات شؤون الحياة في دعم حجتها . هذه الدراسات تكشف عن الحياة كمعنى بدىء يبدع تجلياته ويوجهها وفق مشيئته . وهذا المعنى يظهر في الانواع الحيوانية كوثبة مداها متفاوت مع تفاوت درجات الانواع في السلسلة

الحيوانية ويتجلى في الانسان كعبقرية ذات قابليات مختلفة المدنية . ومرتبة هذه العبقرية تقاس باخضاع الظروف لمشيئتها وطبع الاشياء بطابعها ، طابعاً يتناسب شموله مع عمق التجربة الانسانية .

واذا كانت المساواة أمنية الشيوعية فان الحرية شعار القومية . والقومية تستند الى الابداع الفني الاخلاقي في تأييد وجهة نظرها .

هكذا افترق عن الثقافة الحديثة نزعتاها المساواة والحرية وفق تباين وجهتيها : العلم والاخلاق ، فتحولت الديموقراطية بهذا الافتراق الى اشتراكية ذات محورين أممية وقومية تفسر الاولى العدل الاجتماعي بالمساواة بين الامم والافراد مثلما يفسر العلم الحوادث الطبيعية بحتمية القانون وتلازم الثانية الحياة في صبوتها الى الابداع فنهج نهج الفن والاخلاق وتدرك العدل في نظام رتيب تتناسب رتبه مع مؤهلات الافراد على القيام بوظائف المجتمع المتفاوتة بتفاوت تأثيرها على مصير الامة .

• • •

نقدم فيما يلي مقتطفات من المصادر التي تبلورت فيها اتجاهات

الثقافة الحديثة من ديموقراطية وشيوعية ونازية :

الديموقراطية في انكلترة : في سنة ١٩١٥ اعلن «العهد الاعظم» ونورد فيما يلي بعض المقطوعات من نصه وتفاسيره :

« كل رجل حر لن يؤخذ او يسجن او تصادر املاكه او يحرم حماية القانون او ينفي او يؤذى بأى شكل من الاشكال وكذلك لن نتصرف ضده او نحاكمه الا بحكم قانوني يصدره عليه اقرانه او قانون البلاد » .

« ولن نبيع لاي شخص او ننكر عليه او نؤخر له حقا او عدالة » .

تعريف ديسي لحكم القانون : اولا هو السيادة المطلقة او الغلبة للقانون المعتاد الذي يتعارض مع السلطة الاستبدادية وهذا ينفي وجود الاستبداد او الامتياز او حتى السلطة الاختيارية الواسعة في يد الحكومة .

ان الانكليز يحكمهم القانون والقانون وحده . فالشخص عندنا قد يعاقب اذا خالف القانون ولكنه لا يمكن ان يعاقب لغير ذلك من الاسباب .

ثانيا : والمساواة امام القانون او تساوي جميع الطبقات في الخضوع لقانون البلاد المعتاد الذي تطبقه محاكم البلاد المعتادة

وحكم القانون بدا المعنى لايجيز اعفاء الموظفين او غيرهم من واجب الخضوع للقانون الذي يسيطر على المواطنين الاخرين او من اختصاص المحاكم العادية . فلا وجود عندنا لشيء يشبه القانون الاداري او المحاكم الادارية في فرنسا !

« فاذا ما تحدثنا عن حرية الفرد فليس علينا الا ان نطلع على ما يقوله القانون في انكلترا بشأن هذه الامور ، وعلى ما يتمتع به الشخص الانكليزي من الحريات لحماية القانون ان القانون لا الدستور هو مقياس حريته وهو لايمكنه ان يعتمد على ضمانات دستورية غامضة ولا على قانون طبيعي او الهي بل يجب عليه ان يجد حرياته في داخل نطاق قانون البلاد » .

واليك ما يقول بلاكستون في الاحكام الاستثنائية

« لان تسلب انسانا حياته او تصادر بالعنف املاكه دون اتهام او محكمة عمل استبدادي جسيم فاضح لايلبث ان ينشر الفزع من الاستبداد في نواحي المملكة كلها . اما حجز شخص ما بزجه سرا في السجن حيث لاتعرف آلامه او تنسى اذا عرفت فهو وسيلة من وسائل الحكم الاستبدادي أقل علانية او اقل ازعاجا من العمل الاول ولذلك كان اشد منه خطراً . »

واليك مايقوله لورد شو ببدأ الحديث « ان اولئك الذين يستطيعون وحدهم تقدير مايتعلق بالامن العام والدفاع اذا منحوا ايضا سلطة وضع القواعد التي يحكمون بمقتضاها وسمح لهم بدخول دائرة الفكر والعقيدة قد يولون احدى العقائد السياسية عنايتهم الخاصة . وسواء كانت هذه العقيدة هي الاشتراكية او الدعوة الى السلم او النظام الجمهوري فان الاشخاص الذين يعتنقونها قد يعتدى عليهم دون ان يكونوا قد عملوا شيئا او قالوا قولا يعد في ذاته جريمة . وبذلك يعتدى على اقوى دعامة يقوم عليها صرح حريتنا » .

ويلخص أيرون الكسندر الذي اقتبسنا من كتابه « الدستور البريطاني » الاقوال المتقدمة مفهوم الانكليز الديموقراطية : كل هذا قد جعل المملكة خلية نحل تنتج القوانين وتلك هي الديموقراطية بمعناها الصحيح (تحارب فيها الامتيازات ايا كان نوعها ولا يضار فيها انسان بسبب ديانته حتى اصبحت انكلترة اخيرا مملكة تضم رجالا احرارا ونساء احرارا ، احرارا في التصويت ، احرارا في التقدم لعضوية البرلمان ، او في الحصول على الرتب والقاب الشرف ، احرارا في ان يحكموا انفسهم سواء في القرية او الابرشية او المدينة او المقاطعة او المملكة » .

كذلك هي الديموقراطية في انكلترة : تقوم على الحرية وعلى المساواة . ويتلخص رأي الانكليز في المساواة بخضوع الناس لاحكام القانون . القانون هو اعلى ميراث يملكه الملك لانه هو نفسه وجميع رعاياه يحكمون بالقانون واذا لم يحكم قانون فلا ملك ولا وراثة (للقانون في انكلترة السلطان الاعلى) (وليس القانون النظامي في انكلترة هو اصل حقوق الافراد بل هو نتيجة هذه الحقوق كما حددتها ونفذتها المحاكم .)

اما الحرية فتظهر فيما يلي : « لا يوجد الان اشراف ولا رقابة على الصحافة ، ولا حاجة الى ترخيص باصدارها . فالصحف تنشر مواد تحوي طعنا او سبا او اثارة فتنة او اشياء غير لائقة تحت مسؤوليتها » .

واليك ما يتعلق بامر الضرائب : « وليس من ضريبة تجبى في انكلترة الا اذا اجازها قانون اصدره البرلمان . . وكذلك شأن المصروفات العامة فلا يمكن صرف بنس واحد من الايرادات الا اذا اجاز صرفه قانون من قوانين البرلمان . . . ذلك ان كل ما يصرف من الاموال العامة يعد غير قانوني الا اذا كان صرفه بالطرق التي عينها البرلمان وبمقتضى الاشراف الذي حدده » .

الديموقراطية في الولايات المتحدة الاميركية : الدستور

« اننا نعد هذه الحقائق واضحة بين تلقاء نفسها وهي ان جميع الناس خلقوا متساوين وان خالقهم قد وهبهم حقوقا معينة لايمكن تجريدهم منها ومن ضمن هذه الحقوق : حق الحياة والحرية والسعي وراء السعادة . وان الحكومات قد قامت بين الناس لضمان هذه الحقوق وانها تستمد سلطتها من موافقة المحكومين ».

« لايجوز لمجلس الامة ان يسن قانونا بايجاد دين او تحريم حرية القيام بشعائره او الحد من حرية القول او الصحافة اومن حرية اجتماع الناس في هدوء او التقدم الى الحكومة برفع مظلمة ؟

المادة الثانية : « لما كان وجود قوة عسكرية منظمة ضروريا لوقاية كل دولة حرة فانه لايجوز الاعتداء على حق الناس في اقتناء الاسلحة وحملها » .

المادة الرابعة : « لايجوز الاعتداء على حق الناس في ان يكونوا آمنين على اشخاصهم ومنازلهم واوراقهم ومقتنياتهم في التفتيش غير المشروع ومن القبض والمصادرة ولايجوز صدور اوامر بالقبض او التفتيش الا مع بيان السبب المؤيد

باليمين او الدليل القاطع وعلى الخصوص مع وصف المكان الذي يفتش او الاشخاص الذين يقبض عليهم او الاشياء التي تحادر ».

المادة السادسة : « في جميع المحاكمات الجنائية يجب ان يتمتع المتهم بحق المحاكمة السريعة العلنية بمعرفة محلفين من الولاية او المركز الذي ارتكبت فيه الجريمة يجب التثبت سلفا من هذا المركز بصفة قانونيـــة . ويجب المتهم طبيعته التهمة وسبب الاتهام وان يواجه مع شهود الاثبات وان تتخـــذ الاجراءات التي من شأنها ان تجبر شهود النفي على الحضور وان يكون له محام يدافع عنه ».

الديموقراطية في فرنسا : لائحة اعلان حقوق الانسان ١٨٧٩ :

المادة الاولى : « النـــاس يولدون ويعيشون احرارا ومتساوين في الحقوق ولا يمكن ان تقوم الفروق الاجتماعية الا على المنفعة العامـــة ».

المادة الثانية : « الغرض في كل مجتمع عام هو حفظ حقوق الانسان الطبيعية التي لا تنقضي وهذه الحقوق هي هي : الحرية والتملك والامن ومقاومة الظلم ».

المادة الثالثة : « الامة مصدر السلطات ».

obeikandl.com

المادة الرابعة : « الحرية هي القدرة على عمل كل شيء لا يضر بالغير . »

المادة السادسة : « القانون هو تعبير عن الارادة العمومية وجميع المواطنين الحق في ان يشتركوا في وضعه

المادة العاشرة : « لا يجوز اقلاق راحة احد بسبب آرائه حتى ولو كانت دينية » .

المادة الحادية عشرة : « التبادل الحر للافكار والآراء هو من أثمن حقوق الانسان » .

المادة الثانية عشرة : « لما كان ضمان حرية الانسان والمواطن يحتاج الى قوة عمومية فان هذه القوة توجد لفائدة الجميع لا للمنفعة الشخصية لاولئك الذين يعهد اليهم بها » .

المادة الخامسة عشرة : « المجتمع الحق في ان يطالب كل موظف عمومي بتأدية حساب عن ارادته » .

الشيوعية : من كتاب « المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية » لستالين :

« انحدرت كلمة ديالكتيك من الكلمة اليونانية (ديالوغو) ومعناها : المحادثة والمجادلة . وكان الديالكتيك يعني ، في عهد الاولى ، فن الوصول الى الحقيقة باكتشاف التناقضات التي

يتضمنها استدلال المحسوس وينعكس عليه . « ان طريقي ديالكتيكية لاتختلف عن الطريقة الهيجلية من حيث الاساس فحسب ، بل هي ضدها تماما . فحركة الفكر ، هذا الفكر الذي يشخصه هيجل ويطلق عليه اسم الفكرة ، هي ، في نظره ، خالق الواقع وصانعه . فالواقع الا الشكل الخارجي للفكرة . اما في نظري ، فعلى العكس ، فليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه » . كارل ماركس ، « ان حوادث الطبيعة ، بموجب هذه الطريقة ، هي متحركة متغيرة دائما وابدا وتطور الطبيعة هو نتيجة تطور تناقضات الطبيعة ، نتيجة الفعل المتبادل بين القوى المتضادة في الطبيعة » .

« وعلى العكس تكمن فهم اي حادث من الحوادث وتعريفه اذا نظر اليه من حيث ارتباطه ارتباطا لاينفصم بالحوادث المحيطة به ، اي اذا نظر اليه كما تحدده وتكيفه الحوادث التي تحيط به » .

« كل شيء ينعلق بالظروف ، بالمكان والزمان » .

« ولقد كتب لينين بصدد المفهوم المادي عند فيلسوف العهد القديم هركليت الذي جاء فيه : « ان العالم هو واحد لم

يحيط في الدولة الحديثة وجود كان ولا يزال ويبقى كون شاملة حية الى الابد ، تشتغل وتتطور تبعاً لقوانين معينة » فقال لينين : بلا من شرح رائع لمبادىء المادية الديالكتيكية ».

« ان الفكر هو نتاج الدماغ ، والدماغ . هو عضو التفكير ، فلا يمكن ، بالتالي ، فصل الفكر عن المادة دون الوقوع في خطأ كبير » .

« ان المادة ليست من نتائج العقل نفسه ليس سوى نتاج المادة الاعلى . فريدريك انجلز ».

« ليست ادراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، ان معيشتهم الاجتماعية هي التي تحـــدد ادراكهم — ماركس ».

« وهكذا اذن : الافكار والنظريات الاجتماعية والاوضاع السياسية تتولد من المهمات العاجلة التي يضعها تطور الحياة المادية للمجتمع ، ثم تؤثر هي نفسها ، فيما بعد في المعيشة الاجتماعية وفي حياة المجتمع المادية ، بحالتها الشروط اللازمة لحل المسائل العاجلة المطروحة في حياة المجتمع المادية ، وجعل تطور المجتمع الى الامام ممكناً ».

« ولكن ماهي اذن ، في مجموعة شروط الحياة المجتمع ،

القوة الاساسية التي تحدد هيئة المجتمع وطابع النظام الاجتماعي وتقرر تطور المجتمع من نظام الى آخر ؟ نعتبر المادية التاريخية ان هذه القوة هي أسلوب الحصول على وسائل المعيشة الضرورية لحياة الناس ، اي اسلوب انتاج الحاجات كالغذاء واللباس والاحذية والمسكن والوقود وادوات الانتاج الخ ...»

« في الانتاج ، لايؤثر الناس في الطبيعة فقط ، بل يؤثر بعضهم في البعض الآخر ايضاً فهم لاينتجون الا بالتعاون فيما بينهم على شكل معين ، ويتبادل النشاط فيما بينهم . ومن اجل ان ينتجوا ، يدخل بعضهم مع بعض في صلات وعلاقات معينة ، ولايتم تأثيرهم في الطبيعة اي لايتم الانتاج الا في حدود هذه الصلات وعلاقات الاجتماعية . ماركس »

« وان ماميز عهداً اقتصادياً من عهد آخر ، هو طريقة صنع الشيء اكثر من الشيء المصنوع ذاته . فوسائل العمل هي مقاييس تطور الشغيل ومرآة مستوى العلاقات الاجتماعية التي يعمل ضمنها . ماركس »

« ان العلاقات الاجتماعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقوى المنتجة وعندما يحصل الناس على قوى منتجة جديدة يغيرون اسلوبهم في الانتاج اى بتغييرهم طرق اكتساب معيشتهم يغيرون

على علاقاتهم الاجتماعية . ماركس » .

« ان الناس اثناء الانتاج الاجتماعي لمعيشتهم يقيمون فيما بينهم علاقات معينة . ضرورية مستقلة عن ارادتهم وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية ومجموع علاقات الانتاج هذه يؤلف البناء الفوقي (حقوقي وسياسي) وتطابقه كذلك اشكال معينة من الوعي الاجتماعي . ان اسلوب انتاج الحياة المادية يكيف تفاعل الحياة الاجتماعي والسياسي والفكري بصورة عامة . فليس وعي الناس هو الذي يعين معيشتهم بل على العكس من ذلك معيشتهم الاجتماعية هي التي تعين وعيهم . وعندما بلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة في تطورها تدخل في تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة او مع علاقات الملكية . وليست هذه سوى التعبير الحقوقي لتلك التي كانت الى ذلك الحين متحركة ضمنها . فبعد ان كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة تصبح قيودا لهذه القوى وعندئذ يفتتح عهد ثورات اجتماعية . فان تغير الاساس الاقتصادي يؤدي الى قلب كل البناء الفوقي الهائل على صور مختلفة من السرعة او البطء . وعند دراسة هذه الانقلابات ينبغي دائما التمييز بين الانقلاب المادي لشروط الانتاج الاقتصادية ،

هذا الانقلاب الذي يشاهد بالضبط الخاص بعلوم الطبيعة وبين الاشكال الحقوقية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية او بكلمة مختصرة الاشكال الفكرية التي يتصور فيها الناس هذا النزاع ويكافحونه : فكما انه لايمكن الحكم على فرد وفقاً للفكرة التي يتصور فيها الناس هذا النزاع ويكافحونه . فكما انه لايمكن الحكم على فرد وفقاً للفكرة التي لديه عن نفسه ، كذلك لايمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا وفقاً لوعيه فينبغي تفسير هذا تفسير هذا الوعي بتناقضات الحياة المادية وبالنزاع الذي تتعارض فيه قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . ان اي تكوين اجتماعي لايموت ابدا قبل ان تتطور كل القوى المنتجة التي يستطيع ان يفسح لها المجال ولاتظهر ابدا علاقات الانتاج الجديدة المتفوقة على القديمة قبل ان تنضج شروط وجودها المادية في قلب المجتمع القديم وهذا فالانسانية لاتضع امامها ابدا الا مسائل تستطيع حلها لانه يتضح ، عند الامعان في الامور ، ان المسألة نفسها لاتبرز عندما تكون الشروط المادية لحلها موجودة او على الاقل اخذة في التكون . ماركس » .

« هذا ماتعلمنا اياه المادية الماركسية المطبقة على الحياة الاجتماعية وعلى تاريخ المجتمع وتلك هي الخطوط الاساسية

الناحية الديالكتيكية والتاريخية ... سنة ١٩٠٠ »

النازية : من كتاب « كفاحي » لهتلر

« أليس من واجب الآري اذن ان يحافظ على عرقه وان يفعل ما استطاع للذود عن هذا العرق المبدع ! ألا يجب ان يكون هدفنا الاعلى ان نحافظ على هذا العرق العبقري الذكي الذي يرجع اليه كل الفضل في تقدم البشرية ؟! لا شك في ان أقدس واجب على عاتق الشباب الآري ان يحافظ على عرقه ودمه صافيين ليس فيهما اي دنس ؟! »

« فالمحافظة على العرق قضية مقدسة وليس هناك اقدس منها ولا اخطر . ومن اعظم واجبات الشباب ان يعتنوا بها ويجلوها اعلى محل من عنايتهم واهتمامهم اذ هي قضية مقدسة كما قلنا لانها تنطبق على ارادة الخالق المبدع الذي خلق الناس جميعا وجعلهم عروقاً ، زد على ذلك انها تزيد في قوة البلاد الطبيعية وتجعل الامة قادرة على مقاومة الامراض والطاعون » .

« وآ أسفاه لقد اختلط شعبنا بغيره من الشعوب وخصوصاً في حرب الثلاثين عاماً ، لذلك نراه عجز في الماضي عن السير في طريق المجد وعجز عن تأدية رسالته . ولو كان الشعب الالماني يملك من زمن بعيد في تاريخه الطويل هذه الوحدة العرقية

لكان الرايخ الالماني الان سيد الارض ، لتغيير وجه التاريخ العالمي ولبلوغ العالم هدفه وحل في الارض سلام دائم طالما حببت اليه البشرية وتشوقت الى وجوده وطالما رفعت يديها نحو السماء تدعو الله الى ارساله » .

« اما نحن فسنقوم بابعاد العرق الالماني عن العلقميات وسنذود عنه اعداءه وكل الغرباء . ولا يكون الرايخ دولة الا اذا جمع تحت لوائه كل الالمان وحافظ على العناصر الاولية التي يتألف منها عرقه وجعلها تبلغ بهدوء وتؤدة وبصورة اكيدة مكانتها السامية اللائقة بها »

« والدولة ليست هدفاً ، انما هي مطية تحمل العرق الى هدفه . وقد تكون هناك جماعة من الناس هم خلقا وخلقا من جنس واحد . فالدولة في هذه الجماعة هي التي تحافظ على حركاتهم وتذكي في صدورهم نار الشجاعة والاقدام للوصول الى هدفهم ولها ان تسهر على مزاياهم الرئيسية وسجاياهم الموروثة وتعمل على نمو المواهب الطبيعية الموجودة فيهم » .

« اما نحن الوطنيين الاشتراكيين فنقول بأن الدولة هي التي بمجموعها تسهر بعناية على العرق التي هي منه وتحفظه من كل خطر . ونحن بصفتنا آريين نقول بأن الدولة تركيب حي من

افراد الشعب وهذا التركيب يحافظ على كيان الشعب (وهذا التركيب يحافظ على كيان الشعب) ووجوده وينمي ملكاته الاخلاقية والعقلية ويوصله الى اعلى ذروة من الحرية ».

« والان لابد من سؤال . متى تكون الدولة قوية؟ تكون الدولة قوية اذا كان عرقها طاهراً نقياً . والعرق الطاهر النقي يصمد للشدائد والهجين الدخيل على الشعب لايقوى على ذلك بل يكبو ثم يموت واكبر واجب ملقى على عاتق الرجل الصحيح الكامل هو ان يحافظ على دمه وان يبقيه نقياً صافياً . ان هذا لمن اقدس الواجبات ».

« وعلى الدولة العرقية ، عدا المحافظة على العرق ، واجب اخر بل هو من اقدس واجباتها واعظمها خطراً ، عليها ان تجعل الزواج قانونا مقدساً ينجب مخلوقات كاملة يرضاه الاله ، الا ان ان ينجب مخلوقات ليس لها مكان الا بين الانسان والقرد ».

« اما الدولة العرقية فانها تقسم سكان بلادها الى اربع فئات : المواطنون ، العناصر التي هي في خدمة الدولة ، الاجانب ، الفتاة الالمانية ... »

« يجب ان يكون على رأسها زعيم لاصلة له باي لجنة ويحمل على عاتقه المسؤولية كاملة في جميع نواحيها عن كل من امور وامر الحركة

ومحلوراتها وهو الذي يعين جميع اللجان ويأمرها بدراسة مواد البرنامج . ولكل لجنة رئيس مسؤول . وتقسم البلاد الالمانية الى مقاطعات ودوائر ومناطق ».

« وليس للحركة النازية ان تتدخل بشؤون الدين وهي لا تأذن لهم بأن يتعدوا حدودهم في سبيل اي هدف سياسي خاص .

« والزعيم لا يكون زعيما بمجرد رغبته في ان يكون زعيما . والزعيم لا يكون زعيما اذا لم يكن فيه من المزايا سوى الارادة بل الزعيم هو الذي يتحلى بكل الصفات والمؤهلات فيجمع الارادة الى المقدرة والكفاءة والقدرة على الفصل في الامور وتنفيذها ».

« والشعب ينبغي ان يكون على رأسه زعيم . وهذا الزعيم ليس عليه ان يكون عالما بكل شيء بل ينبغي ان يكون لديه مجلس مختار وظيفته درس القضايا التي ترفع اليه فيدرسها ويفهمها على الوجه الاكمل ويبدي رأيه فيها . اما الزعيم فهو الذي يقرر وهو الذي يأمر بالتنفيذ . وينبغي ان يكون ثمة مجالس وغرف سياسية وتعاونية اخرى ويدرس كل مجلس ما يخصه من امور وقضايا اذ انه ليس على الذين يفهمون السياسة آن يفهموا الميكانيك وغيره كما ان الميكانيكيين والمهندسين

الخبراء قد لا يفهمون من السياسة شيئاً . ولا يطلب من هذه المجالس ان تصوت ، هي منشأ للعمل وليست آلة للتصويت ولرئيس المجلس كلمة الفصل وعلى عاتقه كل المسؤوليات ».

«والنضال لازم لكل حركة ترغب في النجاح والنصر . وعليها ان تضع نصب عينيها ان النصر لا يأتي الا بالنضال وستقوم هذه الحركة على الهجوم ، والهجوم سيصقلها السّد عزما ومضاء ، واذا حاكموا حولها اضاليل واكاذيب لا ينبغي لها ان تتوقف عن المسير بل يجب ان تثابر على المسير الى الامام . وماهذه الاكاذيب والاضاليل الا دليل على قوة الحركة ».

بين الواقع والمثل الاعلى

يقوم الفكر الحديث على مبدأين متباينين : السببية والتطور . أما مبدأ السببية فهو مزدوج المظهر يبدو في العلوم الرياضية كحجة Raison suffisante) ؛ ويبدو في العلوم الطبيعية كعلة (Cause) . وتعني الحجة أن كل فكرة تستدعي الى الذهن حكمة وجودها حكمة معقولة ، وتعني العلة أن كل حادث يستدعي الى الذهن حكمة ظهوره حكمة طبيعية . وبناء على مبدأ السببية هذا تبقى المعقولات والحوادث محصورة في دائرة غير متناهية بتسلسل حلقاتها . والامر سواء في الشؤون العقلية وفي الحوادث الكونية . والاختلاف بين الحجة العقلية والعلة الطبيعية يرجع الى الاختلاف بين العقل والطبيعة بين الممكن والواقع حتى اذا ما اصبحت الطبيعة شفافة للعقل بالتحليل والتبست

الحوادث بالمعقولات بدا الوجود رياضياً محكم الحلقات وبناء على هذه النظرة ترجع الدنيا الى صورة ذهنية قوامها المناسبات الرياضية . ومثل الدنيا اذن كمثل كل من الاحساسات التي تقوم على منظومة اهتزازية . وانما شأن العلم في هذه النظرة هو تحليل الصورة والكشف عن نظام عناصرها المتدفقة نظاماً أصيلا . واذ قال سبنوزا عبارته : (ان العقل لايدرك الاشياء الا من خلال الابدية) كان يجعل مبدأ السببية ، مبدأ تلازم الاشياء دون البداية والنهاية ، كتلازم الخطوط والزوايا في الاشكال الهندسية .

هكذا ادرك الذهن الحديث الكائنات على مثال الآلة تتلازم أجزاءها في وحدة الوظيفة تلازماً مستقلا عن الزمن وعلى هذه الحالة تبدو النظرة الحديثة في الاشياء حيث تنفذ الرياضيات . فهي في الافلاك وفي الفيزياء والكيمياء وفي الاحياء بنسبة ماتمس الحياة المادة .

أما مبدأ التطور فقد اتخذ النمو والتقدم بدلا من الخلود والتلازم . وتقوم على هذا المبدأ نظرية السديم في اصول المنظومة الشمسية ونظرية الشحنة الكهربائية في اصول منظومة الذرة الكيميائية ، ونظرية الخلية المتجانسة في

اصول الاحياء . ولهذا المبدأ تخضع الكائنات من المادة الى الاحياء حتى الانسان والانسانية .

ومع مافي هذه النظرة من تباين بين مقوماتها السببية والتطور فان نشأتها تنطوي عليها وانها يلتقيان عند الغاية اذ ليس التطور الا خيال السببية في تقدم تطبيقاتها تقدماً مطرداً .

ان العلم يستهدف ايجاد العلاقات بين الحوادث الطبيعية وبين المفاهيم الرياضية وان الصناعة تقوم على الآلة ذات الادوات المتلازمة . ولكن كلا من العلم والصناعة مع ذلك يبعث بتقدمه في الذهن الميل نحو المستقبل فيذكي العلم الشوق الى الاستطلاع ؛ وتزيد الصناعة بتحسن اوائلها شعور الانسان بالتفاؤل .

شوق الى الاستطلاع وشعور بالتفاؤل : كلاهما يبعث في الذهن الميل الى التطور .

ومن تتبع سير الحوادث المعاصرة او تصفح تاريخ علم من العلوم او شاهد عرضاً سينمائياً لاحدى الصناعات في تقدمها كتقدم السيارة او الطيارة أدرك شمول طابع التقدم لمظاهر هذه الحضارة .

ان للعرب ايضاً نظرتهم في الوجود نظرة استوحوها من تجربتهم في الحياة ومن حبوة الحياة فيهم الى الابداع .

أدرك أجدادنا ان القصيدة تقصر بالبيان عن الهامها وان الشيخوخة تعجز عن تحقيق جميع ماانطوت عليه لحياة من أمان . وأدركوا ايضاً ان الفطرة تبقى أكمل مما تحدث فيها الجراحة من تركيب مصطنع باقامة أداة مقام العضو المعطوب في الجسد . مما جعلهم يعتقدون بأن الكمال سابق بالوجود اذا لم يكن بالزمن على النسخ التي بها يتجلى صورياً

ألم يعتقد العرب بأن لسانهم استوفى شروط كماله في عهد العرب العاربة اي في عهد الفطرة ، بينما تبقى اللغة العامة انحرافاً وتشويهاً للغة المثلى .

اولم تشترك الشعوب السامية في الاعتقاد بأن الاجيال تضوي وتتردى بالعمر والقامة بتقادم الزمان عليها فكأن عهد الفطرة بحسب هذه النظرة مثال يختلف عنه الناس تخلف النسخ عن اصلها باهتة في المستنسخ . ان الزمن في هذه النظرة عامل تشويه يشوه مايبدر عن الملأ الاعلى مثله كمثل عوامل التحات التي تحول وجه الارض من ذي أمت

الى قاع صفصف وما الاسطورة القائلة بأن الفرد انسان مسوخ الاصورة (كاريكاتورية) لمبدأ التنزيل هذا ، أسطورة يقابلها الزعم في الحضارة الحديثة بأن الانسان فرد متكامل .

فاذا ظهر مبدأ التنزيل متغلباً على مبدأ التطور في الذهن العربي فان ذلك نتيجة طبيعية للنظرة المثالية . واذا ماقورنت هذه النظرة مع قول جوته (نحن من قوم شقوا طريقهم من الظلمات الى النور) هذا القول الذي تتلخص فيه وجهة نظر اوروبا تبين بوضوح الفرق بين الواقع والمثل الاعلى ، بين التاريخ والملأ الاعلى .

ولكن العرب لم يجهلوا التاريخ ولاتدرج مراحله نحو مستوى اكمل فأكمل اذ انهم عبروا عن كل من هذه المرحلة بالقبة واعتبروا القبة وثبة تتشخص في الكون رسالة . فالنظرة العربية اذن ذات طابع فني أخلاقي مستوحاة من انبثاق المعنى في الالهام والنية وهي الوجهة المقابلة للنظرة الاوروبية ذات الطابع الرياضي ، النظرة التي تتخذ المنظومة (systeme) عبارة الالهام وقاعدته الاساسية .

لكل من هاتين النظرتين آفتها ، وآفة النظرة العربية الرجعية .

ان الرجعية تحصل من الالتباس بين تجربة الحياة الاصلية والظروف التي اكتنفت هذه التجربة بحيث يستحيل الناس الى قردة خاسئين منصرفين عن الابداع الى التقليد .

أما آفة النظرة الحديثة فهي المادية ونحن نعني هنا المادية الميل الذي تساير به الثقافة المدنية ، الميل الذي تصبح فيه الحياة الذهنية خاضعة لتيارات البيئة بدلاً من أن تبقى عند مقتضيات مبدأ تلازم عناصرها في حيوتها نحو مثل اعلى مشترك . ان الحياة اذا كانت تستجلي مكنوناتها بنشر فجوادا على ظرفي المكان والزمان نشر الالهام على الانغام في الانشودة فان تجلياتها ذاتها تبقى ذات حيوة الى المبدأ الذي تتلقى منه حكمة وجودها ، ولهذا فالحضارة الاقرب من كمالها هي التي ينسجم فيها تقدم الآلة مع نمو الثقافة .

ولكن التقدمية والرجعية يتعين معناهما في العرف العام اليوم بالنسبة لموقف الجمهور من العهد الذهبي . فان رأى الناس عهدهم الذهبي في الماضي وسكبوا حاضرهم في قوالبة البالية كان نهج حياتهم نهجاً رجعياً . وان هم رجوا هذا العهد في مستقبلهم فأنشأوا حاضرهم بغية تحقيق الامنية الملقاة شبحاً نحو الامام كان نهج حياتهم نهجاً تقدمياً . واما

الاصالة فهي تجارب سبر بها الاجداد اغوار الحياة الانسانية فعبروا عنها بما يوفر على الاحفاد الجهد المبذول في الوصول اليها كتجارب الابطال والفنانين في الكشف عن الايات الخالدة في الفن والاخلاق مثلاً، تجارب تهتدي الاجيال على هديها في انشاء شخصيتها كما يهتدون على تجارب أعلام العلم في انشاء العقلية.

بين الديمقراطية والدكتاتورية

ان خير قدوة نقتدي بها في امورنا هي الحياة ذاتها . فاذا هي دوهمت بخطر خارجي كظهور ضبع في الغابة أو بخطر داخلي كظهور مرض مستعصي مثلا ، حشدت قواها لدرء الخطر واهملت حاجاتها من أكل وشرب ونوم ، حتى اذا مازال عنها الخطر عادت الى تلبية حاجات الجسد . والامة ، اذا هدد كيانها عدو من الخارج او اضطراب في الداخل ، وجب عليها جمع قواها وتسليم مقاليد أمورها الى هيئة مختارة او الى شخص مسؤول عن مصيرها ، ولكن اذا زال عنها الخطر كان على اولي الامر فيها ان يعيدوا الامور الى مجراها . فان كانت كلمة « دكتاتور : مسيطر » تعني الحالة الاولى ، حالة حشد القوى حتى مجبر الحرية ، فان الديمقراطية تشير الى الوضع الذي تتفتح

فيه نزعات الافراد في حدودها الطبيعية . وتمييزاً للزعامة الحقة من الزعامة الباطلة ورد في القرآن آيتان : « لست عليهم بمسيطر ، والنبي اولى بالمؤمنين من أنفسهم » . ان كلمة « مسيطر » تلتقي بأصلها اللغوي مع مغزى كلمة « دكتاتور » ، فتفيد املاء الاهواء والاغراض الشخصية على الآخرين ، ولكن النبي يمثل صبوة ابناء الامة . وان تمثيل الفرد هذا لا يتمخض عنه الجمهور يظهر في الاحوال المألوفة عندما يقال : انه سبقني الى الفكرة ، والفكرة كانت تحت لساني ؛ ويظهر ايضاً في انتشار الازياء وفي شيوع الآراء كموجة في فترة معينة من الزمن ويبلغ مداه من الظهور في النبوة . حيث تسبر اغوار الحياة ويكشف عن الحقائق الخالدة ، فتحمل على ضوء ذلك المسائل المستعصية .

ان الناس ، اذا ادركوا بالزعيم اعز مالهم وآثروه على أنفسهم ، فلأنهم يرون فيه صورتهم المثلى ، الصورة التي يسيرون على هدايتها الى تحقيق امالهم وأمانيهم .

واما الديمقراطية فهي الوجهة الانسانية للحضارة الحديثة وهي تقوم على الاعتقاد بأن النفس تنطوي على مقوماتها

على عقل يؤهل صاحبه لمعرفة الحقيقة وعلى وجدان ذي صبوة الى الفضيلة .

ولئن كان الناس مجهزين بالعقل والوجدان ومؤهلين لمعرفة الحقيقة والعمل بما تقتضيه الفضيلة ، فقد اصبح من الحق لكل مواطن ان ينظم سلوكه حسب مشيئته وان يشترك مع المواطنين الاخرين في تعيين مصير الدولة . وهم وان كانوا يتفاوتون باستجلاء حدس الخير ، ويختلفون بالتعبير عنه ، فانهم يدركونه متساوين ادراكهم البديهيات الرياضية .

فتنظيم الانسان لسلوكه بحسب مشيئته ، وحق الناس في الاشتراك في تعيين المصير العام ، هما ركنا الديمقراطية . الركنان اللذان يتلخصان بكلمتي : مساواة وحرية .

ان الحرية هي امنية الديمقراطية وشرط من شروط كيانها الاساسية ، فبالحرية تنمو الحياة وتزدهر ، وفي جوها يتبادل الناس اختباراتهم لاجل دعم المصلحة العامة .

ان الحرية والانسانية تتلازمان ، وانه على تلازمهما تقوم القيم الاخلاقية الفنية . واذا ما تميزت الفضيلة عن تفاعل الحوادث في الطبيعة ، واذا ما اختلفت الابداع عن التقاليد المألوفة ، فان التميز والاختلاف هذين يرجعان الى الحرية .

والا ، فأين سقوط الحجرة من بطولة المسيح ؟ وأين ضجة الامواج من انا نشيد بتهوفن الخالدة ؟ أو أين الاحاديث المعتادة من روايات شكسبير الرائعة ؟

واما المساواة فهي تساوي الناس في حق تنظيم سلوكهم حسب مشيئتهم ، وفي اشراكهم في تنظيم سلوك الدولة .

ولكن الناس ، اذا كانوا متساوين في حدس الخير فانهم متفاوتون في استجلاء هذا الحدس وفي التعبير عنه ؛ وذلك لان الارادة تتردد بين الحقيقة والعبارة ، بهذا التردد عن الحق ، عن قصد او عن غير قصد .

والديمقراطية ، اذا كانت تقترب من كمالها بنسبة اقتراب القانون من التعبير عن ارادة الامة ، فان مشكلة هذا النظام هي في ايجاد ارادة مستنيرة وقويمة ، وذلك يتحقق بازالة الاسباب التي تحجب الذهن عن الحقيقة ، أي بنشر العلم في البيئة وازكاء شعور الناس بالفضيلة . واذا صدق القول بأن العقل السليم في الجسم السليم ، فان اسباب المعيشة هي من متممات هذه السلامة . والاكيف تستقر الحياة وتنمو المواهب في مجتمع لم تتوفر فيه أسباب الرفاهية ؟

ان في تامين مستوى من المعيشة متناسب مع مؤهلات الافراد لخدمة الامة ، ضمانة للكرامة الشخصية وباعثاً لنمو الحياة الانسانية . واذا كانت الدولة لاتحدد من استعداد الافراد للرفاهية ، فعليها ان تتعهد لكل مواطن بالاسباب التي تجعله يحتفظ بكرامته الانسانية . هذه الاسباب تتطور مع تقدم المدنية .

ان الحرية والمساواة ، ركني الديمقراطية ، ينتميان الى الحق ، وهما من الحق يستمدان قيمتهما . واذا تميز الانسان عن الحيوان بالقيمة التي يرتفع بها عن ان يكون شيئاً من الاشياء ، فذلك لانه يتعدى بصيرته الى التعالي سلسلة الحوادث الطبيعية مرتقياً نحو مصدر القيم الاخلاقية .

ان الانسان يستجلي قيم اعماله على ضوء الحق ، ويحول بهذا الاستجلاء معنى الحياة ، في حين ان الاشياء تبقى بتفاعلها في الطبيعة محصورة خاضعة لمبدا تعادل القوى .

واذا ماقدس النظام الديمقراطي الشخصية الانسانية . فان تقديس الحق المقيم في هذه الشخصية تقديس للهيكل الذي يشرق عليه المعبود من عليائه .

وقد تكسف القوة الحق عن النفس ، كما تحجب الغيوم النجوم عن الرؤيه ، ولكن الحق يبقى متلألئاً في عليائه تلألؤ النجوم في افلاكها .

obeikandl.com

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	١١	نسع	نسغ
٣	٧	طلقت	طلعت
٥	٣	بفكك	يفكك
٦	١	تقيم	تقيم
٦	١٣	فتبتقي	فتبقى
٨	١١	منشئة	منشئه
١٠	٥	فوام	قوام
١١	١٢	تستنفز	تستنفد
١٢	١	ويبني	وبين
١٢	١	يبني	بين

oberkandl.com

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	٢	يبني	بين
١٢	١٤	بقاعدة	بقاعدته
١٣	١٥	انبعث	انبعثت
١٤	١	الى	ان
١٤	١١	الفنبة والفنية	الفينة والفينة
١٥	٥	ثقانة	ثقافة
١٦	٣	جديدة	مديدة
١٦	٣	فبدت	بدت
١٧	٤	تتجارب	تتجاوب
١٨	٤	و	×
١٨	١٠	و	×
١٨	١٥	ازحة	ازاحة
١٨	١٨	خسائلنا	خصائلنا
٢١	٦	به	عنه
٢٣	٨	يحتمل	يحتل

obeikandl.com

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤	١٨	فقد	فقدنا
٢٨	٣	لموها	ميولها
٢٨	١٣	تهدر الضحايا	تهدر تلو الضحايا
٢٨	١٤	ترى	ترك
٢٩	١	نشترك	نشرك
٣٠	١١	فالتوجه	فلنتوجه
٣١	١٤	معاقبة	معاتبة
٤٤	٢	تجع	تجمع
٤٦	٦	كالجنين (ميكروب)	كالجن
٤٦	٩	خير	حيز
٤٦	١٢	خير	حير
٢٦	١٧	الأمراض	للامراض اكتشاف
٤٧	١	الارهو	الاوهو
٤٨	١٠	المعنى الصورة	المعنى من الصورة
٤٨	١٢	بصورد	بصورة

obeikandl.com

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٨	١٢	طرفي	ظرفي
٤٦	١٤	حملته	جملته
٥٧	١٣	العفوبة	العفوية
٦٣	٢	١٩١٥	١٣١٥
٦٨	١١	١٨٧٩	١٧٨٩
٧٣	١٦	الفوفي	الفوقي
٧٤	٣	مختضرة	مختصرة
٧٦	١٠	مطبة	مطية
٨١	١	بدأالوجود	بدا الوجود بنيانا
٨٣	١٦	النسح	النسخ
٩١	١٨	الريوية	الرؤية

obeikandl.com